



رجل المستحيل

كتاب ودماء



رجل المستحيل

دنیای و دماء

2

● ● هـ ا ب ج د هـ ز ح ط ي ك ل م ن هـ و

المؤلف



د. نیل فاروقی

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للخياط
زاهرة
بالأحداث
المثيرة



ذئاب ودماء

- هل سيقى (أدهم) على قيد الحياة،
ليواصل صراعه مع ذئاب الجبال ؟
لماذا سالت الدماء أنهاراً ، في أعماق
جبال (الإنديز) ؟
لمن سيكون النصر ، وسط ذلك القيص
من الذئاب والدماء ؟
اقرأ التفاصيل الشيعة ، لتري كيف يعمل
(رجل المستحيل) .



العدد القادم : رحلة الهلاك



فالحمد لله

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية للدراسات
الطبية والشرقية
بجامعة القاهرة

أشرقت شمس الصباح على مدينة (إجماع) ، عاصمة (بيرو) ، وألقت ضوءها على مبنى السفارة المصرية ، الذى يحتل ناصية مميزة ، فى أوى أحياء العاصمة ، ونفت السفير المصرى دخان سجارته فى عمق ، وهو يتطلع إلى سلسلة جبال (الإنديز) ، التى تبدو شاحبة فى الأفق ، فغمغمت زوجته فى صوت خافت ، وكأنها تخشى أن يعلو صوتها على صوت المفكاره :

— أمازلت تفكر فى رجل المخابرات ؟

أوماً برأسه إيجاباً ، وتغم فى قلق واضح .

— لا يمكنى التفكير فى سواه ، إنه شاب رائع ، لم يتردد لحظة فى اتحام جبال الموت .. لاستعادة زميلته المخطوفة (*)

رئيت زوجته على كفه فى هدوء ، وغمغمت :

— حياة رجال المخابرات تختلف عن حياتنا يا عزيزى ، فالأمور التى ننظر إليها برعب وفزع ، ونعبرها أهوالاً بشيب

(*) راجع الجزء الأول ، قصة (جبال الموت) .. المعامرة رقم (٥٢) .

٥

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

٤

أبدي ذئاب الجبال ، وقررت المخابرات المصرية القيام بعملية تأديبية ، لتلقين ذئاب الجبال درساً قاسياً ، وتطويع هو (منى) لهذه المهمة .(*)

ولذلك كيف بدأت المهمة باشتياك مباشر مع ذئاب الجبال ، فى حقيقة السفارة المصرية ، وكيف تطويع الأمر إلى صراع عنيد بينهما ، وبين (سانشو) ، زعيم الذئاب ، الذى يعاونه رجل (الموساد) (جولدمان) ، وكيف أعد (سانشو) خطة شيطانية محكمة ، أمكنه بواسطتها اختطاف (منى) ، ونقلها إلى وكر الذئاب ، فى أعماق (الإنديز) .. وانطلق (أدهم) خلف ذئاب الجبال ، واجتاز أهوالاً فى طريقه إلىهم ، فعبر هوة الموت ، وقاتل الذئاب الحقيقية فى وادى الهلاك ، حتى وصل إلى الوكر ..

ولأول مرة فى حياته ، وقع (أدهم) ضحية فخ لان . اضطره للاختيار بين حياة (منى) أو حياته .. واستسلم (أدهم) .. لأول مرة فى حياته ، ذاق مرارة الهزيمة ..

(*) راجع الجزء الأول : قصة (جبال الموت) .. المعامرة رقم (٥٢) .

٧

لها الوليد ، قد يبدو لهم أمورا روتينية عادية ، لا يترحف لها رمش واحد منهم .

ابتسم السفير فى شحوب ، وغمغم :

— وربما ، ولكنى لا أستطيع أن أنسى ، أنه يفعل ذلك من أجلنا أيضاً .

استعاد ذهنها بسرعة كل المخاطر ، التى تعرضت لها السفارة المصرية فى (إجماع) ، على أبدي منظمة (ذئاب الجبال) ، التى يسمى (أدهم) خلفها فى جبال (الإنديز) ، فشحب وجهها بدورها ، وأطرفت برأسها ، وهى تغمغم :

— نعم .. إنه يفعل ذلك من أجلنا .

إنها عملية تأديبية !! عملية تأديبية !! عملية تأديبية !!

دوت تلك العبارة المتكررة فى رأس (أدهم) ، وهو يجرى فى أعماق البر السحيقة ، التى ألقاه فيها ذئاب الجبال ، واستعاد ذهنه القصة كلها ، مع سقوطه الخفيف .. لقد بدأ الأمر بنفس العبارة ، حينما تعرضت السفارة المصرية ، وتعرض العاملون فيها لسلسلة من الحوادث ، على

٦

ولجأة احتك به جسد ضخم لرج ، وارتفعت المياه في
قوة ، وتائر رذاذها في وجهه بعنف ..
لم يكن يرى شيئا ، ولكنه كان يعلم أن فك القرش مفتوح
عن آخره ، استعدادا لالتهامه .

وغاص (أدهم) بجسده في أعماق المياه الباردة بسرعة
مذهلة ، ودفع عنجره إلى الأمام في قوة ، وشعر به يخرق
جسدا رخوا ، وتلاطمت المياه حوله في قوة ، واكتسبت طعم
الدم ، فترع عنجره من جسد القرش ، وأسرع بفوص أعرق
وأعمق ، مبتعدا عن الذعاء ، فقد كان يعلم أن أسماك القرش
الأخرى ، التي مسجطها رائحة الدماء ، لن تلتفت إليه ، قبل
أن تلتهم جسد قريبها الفريضة ..

وأخذ (أدهم) يتحسس جدران البئر بسرعة ، ثم اندفع
عبر الجانب المفتوح منها ، وهو يكتم أنفاسه تحت الماء ، وينطلق
وسط ظلام دامس وهيب ..

وكانت رحلة مرعبة في أعماق الماء ..

كان يشعر بمرور أسماك القرش إلى جواره ، وهي تتدفع نحو
رائحة الدم ، ويحاول تجاهلها ، وهو يواصل السباحة في الاتجاه
العكسي ، يحاكي عن مفيد للهواء ..

٩

وحكم عليه (سانشو) بالموت ، في أعماق بئر ، يحتل
فراجه بأسماء القرش الوحشة ، وطبقا لشرعية الذئاب ، هوى
(أدهم) في البئر ، ومعه عنجر واحد ، بعد أن ألقى الذئاب
بحيوان ذبيح في أعماق البئر ..

وانقطعت ذكريات (أدهم) ، التي مرت في رأسه
كالبريق ، حينما انطعم جسده بمياه البئر ، وغاص وسط برودتها
وظلمتها ، ليبدأ صراعه مع أسماك القرش .

كان الماء شديد البرودة ، مظلما كليل بلا نجوم ، وشم
(أدهم) رائحة دماء الحيوان اللذيذ ، وتعفرت حواسه ،
انتظارا لهجوم أسنان القرش .

واستكان (أدهم) في هدوء ، وترك جسده يطفو في
سكنية ، دون أن يحاول تحريك أطرافه ، حتى لا يجذب انتباه
أسماك القرش ، التي لا يراها من فرط الظلام ..

كان موقفا رهيبا ، يجمل له الدم في العروق ، وكان
(أدهم) يشعر بتوتر حقيقي ، وهو يحاول احتراق حجب
الظلام بعينه ، ويتوقع أن تطبق أسنان القرش على جسده في
أية لحظة ..

٨

وطال انطلاقه في الممر المظلم الطويل ، وشعر برتبته
تكاد أن تفجران من شدة احتياجه للهواء ، وبدا له الطريق
طويلا .. لا نهاية له ، وهو يشق الماء بذرأعيه ، ويدفع جسده
بقدميه ، حتى شعر أخيرا أنه لم يعد يحمل ، وغصم في أعماق
نفسه باستسلام :

— لا تكابر يا (أدهم) .. لكل شيء نهاية ..

ثم ذفج جسده دفعة أخيرة ، قبل أن يترك نفسه للتيار في
استكانة ..

فجأة اندفعت دفقة من الهواء إلى صدر (أدهم) ، وشعر
بوجهه يرتفع فوق سطح الماء ، واتسعت عيناه في دهشة ، وهو
يحدق في جدران كهف ضخم ، من تلك الكهوف الراقدة في
جوف الجبل ، وأغمض عينيه في ألم ، حينما سقطت أشعة
الشمس على وجهه ، بعد سباحته لفترة طويلة تحت الماء ، في
ظلام دامس ، ثم عاد يفتحهما ، وهو يغيب مزيج من الدهشة
والظفر :

— يا إلهي !! يبدو أن ملك الموت لم يبته إليك هذه
المرة أيضا يا (أدهم) .

١٠

وأعادت إليه المفاجأة نشاطه وحيويته ، فأخذ يحرك ذراعيه
وقدميه في الماء ، ليحفظ توازنه على سطحه . وهو يطور بعينه
في المكان ..

كان النفق الذي يمر تحت الجبال ، ويحمل مياه الضبط ،
يتوقف هنا ، فيما يشبه بحيرة صخرية واسعة ، صنعتها الطبيعة
داخل كهف فيج . ترتفع جدرانه شاهقة ، حتى فتحة في
نهايتها ، يسقط منها ضوء الشمس في الشقوق ، فيعمر الكهف
بضوء هادئ ، شبه متجالس ..

كانت معجزة أن ينجو (أدهم) من هذا الموقف الموهل ،
وأن يصل إلى هذا المكان بالذات ..

وأخذ (أدهم) يسبح في هدوء نحو حافة البحيرة ، وهو
يشعر بالعزلة والعزم ، وبأن الله (سبحانه وتعالى) قد أراد
له أن يواصل قتاله مع ذئاب الجبال ..

وفجأة شعر (أدهم) بصوت يشق الماء خلفه ، فالتفت
في سرعة ، وعقد حاجبيه وهو يغمغم :

— يبدو أن النهاية ليست قرية إلى الحد الذي كنت
أنتصرونه ..

فقد كانت هناك زعنفة رأسية ضخمة تشق الماء نحوه ،
واسفلها سمكة قرش مفترسة .

١١

٢ — بحيرة الدماء ..

— لقد كان لذلك عظيم الأثر في انضمامي إلى (الموساد)
أيها المصرية .

امتلات نفس (منى) بالغضب ، فهتفت في صرامة :
— كان ينبغي أن تشكك ، قبل أن تهاجر إلى إسرائيل ..
قاطعها (جولدمان) في سخرية :
— لقد حدث ذلك قبل مولدك يا فتاتي ، وقبل أن يبلغ
زميلك القتل الخامسة من عمره .

ارتجف جسدها لعارته ، وعادت تهتف في غضب :
— سيعود (أدهم) أيها الحفيظ .. سيعود كما وعد .
أطلق (جولدمان) ضحكة ساخنة ، في نفس اللحظة التي
دخل فيها (سانشو) إلى الحجرة ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول
في جدّة :

— ماذا يحدث هنا ؟

التفت إليه (جولدمان) ، وقال في سخرية ، مستخدماً
اللغة الإسبانية :

— إنها تقول إن ذلك الشيطان المصري سيعود .
ابتسم (سانشو) في سخرية ، وقرض طرف سيجاره في
حركة سريعة ، ثم دس الطرف الآخر بين شفتيه ، وأضغله وهو
يقول :

١٣

لم تتوقف (منى) عن البكاء لحظة واحدة ، منذ رأت ذئاب
الجلال ، وهم يلهفون (أدهم) إلى أعماق البئر ، ومع كل دمعة
تظهر من عينيها ، كانت تسترجع ذكريات مغامراتها السابقة
بصحبة (أدهم) ، ووجدت نفسها تغرق في لوعة وألم :

— وداعاً يا (أدهم) .. وداعاً أيها الحبيب .. يا من جيت
أركان العالم الأربعة ، وحطمت عتاة الحاموسية والإجرام ،
وداعاً يا من كان اسمك وحده يثير الرعب في قلوب أعداء
مصر .. وداعاً يا رجل المستحيل .

فاجأها صوت (جولدمان) الشامت الساخر ، وهو
يقول :

— يا لها من مريئة !! من الواضح أنك تحملين عاطفة قوية
تجاه ذلك الشيطان المصري ..

كان يتحدث بلغة عربية ، وبلهجة مصرية سليمة ، مما جعل
(منى) تهتف في حقن :

— إذن فقد قضيت شبابتك في مصر أيها الوغد .
ابسم (جولدمان) في سخرية ، ولوّح بذراعه في حركة
مسرحية ، وهو يقول :

١٤



ودار حول سمكة القرش الرهيبة ، وتعلّق بزعنفتها الرأسية ،
ثم أغمد خنجره في جسدها بلا تردد ..

— يعود من بئر القرش ١٢ .. يا لها من متفائلة !!
وتألفت عياله في وحشية ، وهو يردف :
— لو أنه فعل ، فسأطلق عليه عن حق ، لقب (رجل
المستحيل) .

تركها (أدهم) في البحيرة المغلقة ، في أعماق الجبل ،
وسمكة القرش المفترسة تدفع نحوه ، وأسنانها الحادة تستعد
لالتقامه ، وهو لا يحمل سوى خنجره ..

ولكن (أدهم) بدا — في هذه اللحظة — أهدأ من رجل
يستريح على مقعد وثير ، في حجرة أنيقة ، يستمع إلى موسيقى
كلاسيكية هادئة ، فقد ابتسم في سخرية ، وغنم في حزم :
— الأمر هذه المرة يختلف يا سمكة القرش ، فأنا أترأى في :

وضوح .

ولم يكذب يوم عبارته ، حتى غاص في أعماق البحيرة بسرعة
ومهارة ، حتى أن أسنان القرش قد أطلقت على مزج من الماء
والفراغ ، في حين شقّ (أدهم) الماء أسفلها في قوّة ، ودار
حول سمكة القرش الرهيبة ، وتعلّق بزعنفتها الرأسية ، ثم أغمد
خنجره في جسدها بلا تردد ..

فارت سمكة القرش ، وأخذت تضرب الماء بزعنفتها ،

١٤

والأعجب أنها لم تلتفت إليه أبداً ..

وكان (أدهم) يعلم أنها لن تفعل ..

كان عقله ، الذى يعمل دائماً ، وبلا توقف ، يعلم أن أسماك القرش الخمس لن يهاجمه ، إلا بعد أن تلتهم جنة زميلتها ، التى جذبتها إليها رائحة الدماء ، المنبعثة من طلععات خنجر (أدهم) ..

وهذا ما حدث ..

لقد انقضت أسماك القرش الخمس على جسد زميلتها ، فى حين صعد (أدهم) إلى سطح البحيرة ، وأخذ يضرب بذراعيه فى قوة ، سابحاً نحو شاطئها الصخرى ، ولم يكده يصل إليه حتى تهاوت بالصخور ، وقفز خارج الماء فى رشاقة ، ثم استلقى على الشاطئ يلهث ، ويتطلع إلى الفجوة العالية فى قمة الكهف . لم يكن جسده قد ذاق طعم اليوم لحظة واحدة ، منذ بدأ قتاله مع ذئاب الجبال ، وكان يشعر برغبة قوية فى أن يغلق عينيه ، ويستسلم لنوم عميق ، ولكنه تذكر أن (منى) لم تزل أسيرة لدى ذئاب الجبال ، فعاد يستدل فى نشاط مفاجئ ، وهب واقفاً على قدميه ، وتطلع إلى ارتفاع جدران الكهف ، وإلى الفجوة فى قمته ، ثم غمغم فى عزم :

١٧

— ماذا سفعل بالفاتة ؟

مط (سانشو) شفتيه ، وقال :

— سأحصل على ثمنها .

عقد (جولدمان) حاجبيه ، وقال :

— ماذا تعنى ؟

أجابته (سانشو) فى هدوء :

— ستدفع السفارة المصرية ثمناً كبيراً لاستعادتها بالتاكيد يا سنير (جولدمان) .

وعادت عيناه تهربان فى شراسة وصخرية ، وهو يستعرد :

— ولن أقبل أقل من مليون دولار دفعة واحدة .

مجهول شاق ذلك الذى بذله (أدهم) ، حتى نجح فى الصعود إلى تلك الفجوة ، فى أعلى الكهف ..

كانت الصخور حادة مؤلمة ، وكان الارتفاع شاهقاً ..

ولكن إرادة (أدهم) كانت أحزم من الصخور ، وأكثر

ارتفاعاً من جدران الكهف ..

لقد هزم الجبل ، ولكن عضلاته كانت ترنح ألفاً

وإدراكاً ، وهو يعبر الفجوة إلى الخارج ، حتى أنه لم يستطع

١٩

وتفوص عميقاً ، محاولة التخلص من ذلك الشيطان ، الذى تشبث بزعنفتها فى قوة ، وانهاى شئ .. — ها بطلعت قربة محكمة ، جعلت سطح البحيرة يصطبغ بدمائها ، فى حين كتم (أدهم) أنفاسه تحت الماء ، وهو يقول لنفسه .

— لا تدعها تزمك يا (أدهم) .. لا بد لك من العودة .

وانقاذ (منى) .

ولى ضربة محكمة أخيرة ، غرس أدهم خنجره حتى مقبضه ، فى عين سمكة القرش ، التى انفضت جسدها الضخم فى قوة ، ثم استكالت حركتها ، وبدأت تفوص فى أعماق البحيرة فى سكون ، فضلص (أدهم) من زعنفتها ، وبدأ يدفع ذراعيه فى أعماق البحيرة ، محاولاً الصعود إلى السطح ، ولكنه فوجئ أمامه بخمس من أسماك القرش ، تندفع إليه فى وحشية واضحة ..

لر أن مراقباً قدر له أن يشهد ما حدث فى تلك اللحظة ، لأقسم فى ذهول ، أن (أدهم صبرى) هو أكثر أهل الأرض بروذاً وهدوءاً ، فقد واصل صعوده إلى سطح البحيرة ، متجاهلاً أسماك القرش الخمس تماماً ، حتى أنه عبر وسطها ، دون أن يلتفت إليها ..

١٦

— الوسيلة الوحيدة للخروج من هنا هى البحيرة ، أو فجوة السفف ، وأعتقد أنه ليس فى حق الاختيار .

ولبثت خنجره فى عنق حالته ، وانطلق يتسلق جدران الكهف فى حزم ..

جلس (سانشو) يمدح سيجاره فى هدوء ، وتلذذ ، ويستمع إلى (جولدمان) ، الذى أخذ يقول فى حماس :

— لقد حققت ما عجز عنه الكثيرون يا (سانشو) .. لقد قتل (أدهم صبرى) .

غمغم (سانشو) فى تفاخر :

— لم يكن ذلك أمراً عسيراً كما تظن يا سنير (جولدمان) ، ثم إن أحداً لم يهزم ذئاب الجبال قط .

ابتسم (جولدمان) فى ارتياح ، وقال :

— لقد جعلنى أؤمن بذلك يا (سانشو) ، حتى أننى طالبت دولتى برفع المبلغ الذى تدفعه لك إلى مليون ونصف مليون فى الشهر الواحد .

تألفت عينا (سانشو) فى جدل ، وإن لُوح بذراعيه على نحو يوحى بأن الأمر لا يعنيه ، فى حين تحولت لهجة (جولدمان) إلى الجذبة ، وهو يسأله :

١٨

٣ — ملك الذئاب ..

لم يكن الموقف جديداً بالنسبة لـ (أدهم) ، ولكنه كان رهيباً ..

كان جسده يكاد يهوى من شدة إرهابه ، وقطيع من الذئاب يواجهه في تحفّز واضح ، وهو لا يملك سوى عجز واحد ، وتلك الصخرة التي احتسب فوقها في المواجهة السابقة ، تلعب بعيدة ، على بعد مائتي متر تقريباً .. ولأول مرّة في حياته شعر (أدهم) باليأس ، ولكنه لم يئد بأسه هذا ..

كان عبيداً صارماً ، حتى أمام الذئاب ؛ لذا فقد نصب هامته ، وأطلّ الحزم من عينيه ، ومدّ يده في هدوء ، يستلّ خنجره ، ويشهره في وجه قطيع الذئاب كله .. وكان النصر في هذه المرّة مستحيلاً .. حتى بالنسبة لرجل المستحيل ..

وخيل إليه أن الوقت يمضي ببطء ، وأن قطيع الذئاب يتفرّس فيه بإمعان ، دون أن يتحرّك أحدها ، وبات الموقف أشبه بلوحة صامتة ، ساكنة ، لا تتحرّك فيها حتى الرياح .. ثم انفصل ذئب عن القطيع ..

٢١

— فلتيق لك زعامتك يا صديقي ، وسأكفي عنصبي رئيس شرف ..
ثم سارع بقطيع الذئاب في هدوء ، ولوح بيده في بساطة ، وهو يردف :
— إلى اللقاء أيها الذئاب ، سأذكركم بالخير ، حينما أواجه ذئاب البشر ..
وسرعان ما اختفى وسط الغابة الكثيفة ، على حافة وادي أهلاك ..

« أحد مواطني (بيرو) يطلب مقابلتك شخصياً بإسادة السفير »
رفع السفير المصري عينيه إلى سكرتير مكتبه ، الذي نطق بالعبارة في صوت قلق ، يشقّ عن أهمية الأمر ، فسأله في اهتمام :

— وما الذي يقلقك في هذا ؟ .. إنها ليست أول مرة يطلب فيها أحد المواطنين هنا مقابلي ..
غمغم السكرتير في ثبات متوترة :

— إنه يدعى (سانشو) ، وهو ضخيم ، أصلع ، ذو لحية كثرة ..

٢٣

الوقوف على قدميه ، فألقى جسده على الأرض ، وأخذ يلهث في قوة ، ويتطلّع إلى الشمس في ارتياح ..
ومضت ساعة تقريباً ، وهو مستلق على الأرض الصخرية ، وضوء الشمس يغمره ، ويبعث في جسده الدفء والراحة ، حتى أنه أغلق جفنيه في تراخ ، واستجاب لصراخ جسده المتضرّع ، المتهلّف إلى الراحة ..
وبدأ النوم يسيلّ إلى جفنيه في هدوء لذيذ ، واسترخت عضلاته التي أرهقتها التعب ، وطالت يقظتها ، ولكن ..
انزعجه من استرخائه فجأة عواء قويّ ، فقفز واقفاً على قدميه ، وتطلّع في توتر إلى قطيع الذئاب ، الذي يحدّق فيه بعيون شرسة وحشية ..
وكشف في هذه اللحظة إلى أين قادته الفجوة ..
لقد عادت به إلى وادي أهلاك ..

٢٠

ذئب ضخيم ، تقدّم نحو (أدهم) في هدوء ، حتى أصبح على قيد خطوات منه ، وتنفّزت عضلات (أدهم) للقتال ، واشتدت قبضته حول مقبض خنجره ، ولكن الذئب أحسّ رأسه أمام (أدهم) ، وأطلق عواءً خافتاً ، مستسلماً ، ثم ركع عند قدمي (أدهم) ..
وهنا تبين (أدهم) الموقف كله ..

لقد كان نفس الذئب ، الذي هزمه (أدهم) في المرّة السابقة ، وها هو ذا يرفع لواء الطاعة والولاء ، ويؤكد زعامة (أدهم) ، الذي اتسعت عيانه في دهشة ، حينما قلّدت باقي الذئاب قائدها ، وركعت بدورها ، ورددت أمام (أدهم) ..
لقد انحلت مملكة الذئاب أمام واحد من البشر ..
أمام (أدهم صبرى) .. ملك الذئاب الجديد ..
وأطلق (أدهم) زفرة قويّة ، قبل أن يتفّ في دهشة :
— يا إلهي !! .. إن ذاكرة هؤلاء الذئاب أقوى مما كنت أنصوّر ، إنهم مازالوا يذكرون هزيمي للقائهم ، وما زالوا يعتبروني زعيمهم الجديد ..

أعاد إليه الموقف الدهش العجيب نشاطه ، ولقته بالنصر ، فأعاد خنجره إلى غمده ، وربّث على رأس زعيم الذئاب في هدوء ، وهو يقول :

٢٢

استعت عينا السفر في دهشة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

— هل قُتله رجال الأمن ؟

أوماً السكوتير برأسه إيجاباً ، وغمغم :

— إنه لا يحمل أية أسلحة .

ظهر التفكير لحظة على وجه السفر ، ثم قال في حزم :

— حسناً .. أحضره إلى هنا ، واطلب من رجائي أمن

حضور الحديث بيتاً .

أسرع السكوتير بلبى الأمر ، ولم تكده تضي خطاها ، حتى

عبر (سانشو) باب حجرة السفر ، وهو يتسم في سخرية ..

وخلفه اثنان من رجال الأمن ، يصوب كل منهما مسدسه إليه ،

وقال (سانشو) متكئاً ، وهو يبدو عجيباً في حلته الأنيقة :

— يبدو أن رجالك لا يتقنون في كوني مجرداً من السلاح

أيها السفر .

سأله السفر في صرامة :

— ماذا تريد يا زعيم ذئاب الجبال ؟

رفع (سانشو) حاجبيه في دهشة مضطعة ، وقال :

— إذن فأنت تعرفني !! .. هذا المفضل ، حتى لا نضيع

الوقت في تعارف سخيف .

٢٤

ثم جلس على المقعد المقابل لمكتب السفر ، دون أن يدعوه أحد للجولوس ، والنقطة في وقاحة سيجاراً ، من العلة الصدفية الموضوعة فوق المكتب ، وأشعله في برود ، وهو يستطرد :

— لقد وصلنا رسالتكم ، على هيئة ضابط مخبرات مصرى وزميلته ، ولقد آتيت لأعبر لكم عن شكرنا وامتناننا .

امتلات نفس السفر بالقلق والتوتر ، وهو يقول في جدّة :

— أين (أدهم) و (منى) ؟

ابتسم (سانشو) في سخرية ، ونفث دخان سيجاره ، وهو يقول في برود :

— ترى كم تساوى حياتهما لدى الحكومة المصرية أيها

السفر ؟

عاد السفر يسأله في غضب :

— أين هما ؟

هزّ (سانشو) كتفيه في استتار ، وقال :

— نرى أنفلونك مليون دولار نقداً هنا في السفارة ؟ أم

أننى سأضطر إلى صرف أحد شيكاتكم من بنك (بيرو) ؟

كان هذا بمثابة إعلان صريح عن الهدف من زيارة

(سانشو) ، فتراجع السفر في دهشة . كمن تلقى صدمة

قوية ، وشخّب وجهه ، وهو يغمغم :

٢٥

— ولكن أبرع ما فعله كان ذهابه إلى السفارة المصرية

بنفسه هذا الصباح ، وهو يؤكد أنهم سيدفعون مليوناً من

الدولارات ، في مقابل حياة رجل ميت يا (ديجو) .

أطلق (ديجو) ضحكة ساخرة ، وقال :

— أعتقد أنه ينبغي أن تحصل أسماك القرش على نصيبها من

المليون دولار .

تولّفت ضحكة الساخرة في حلقه ، وجفّ لعابه فجأة ،

حيناً أتى من خلفه صوت ساخر ، يقول :

— اطمن أيها الرغد ، ستحصل أسماك القرش على نصيب

أوفر ، من أجسادكم .

قفز (ديجو) و (ريجز) في ذعر ، وأسرعوا إلى مدفعيهما

الرشاشين ، ولكن الأول شعر بقبيلة تنفجر في وجهه ،

وبأسانه تطاير ، وترطم بحلقه ، لينتبع ثلاثاً منها على الرغم

منه ، في حين انقضّت صاعقة على معدة الثاني ، فبحطت عيناه

في ألم وذعر ، وكاد يصرخ متألماً ، ولكن مطرقة فولاذية ،

تحمل شكل قبضة بشرية ، هوت على فكه ، فهشمته في صوت

مسموع ، وسقط إلى جوار زميله مجثلاً ..

أسرع (أدهم) يسحب الرجلين إلى ما خلف أحد

٢٦

— هل تعلم أننى أستطيع احتيازك هنا بالقوة ، ومقاومة

حياتك القدرة بحياتهما ؟

هزّ (سانشو) كتفيه في استتار ، وقال :

— إنك لن تفعل أيها السفر ، فحياتي لن تساوى حياتهما

لديك .

ثم نهض في هدوء ، وقال :

— مليون دولار نقداً قبل مساء الغد ، وإلا فستأول أسماك

القرش وجبة مصرية شهية .

وانصرف بسرعة ، وهو يهين نفسه على ذكائه ، حيناً لم يخبر

السفر عن مصرع (أدهم صبرى) .. كما كان يتصور .

نفث أجد ذئاب الجبال دخان سيجارته في وجه القمر ،

الذى بدأ يبرز من خلف الجبال ، مع قدوم المساء ، والنفت

إلى زميله ، قائلاً :

— لقد أثبت (سانشو) ذكاءه وقوته هذه المرة

يا (ريجز) ، لقد أجبر ذلك الشيطان المصرى على

الاستسلام ، والقاء في بئر القرش .

ابتسم (ريجز) ، وقال وهو يشعل سيجارته بدوره :

٢٦

الغرب (سانشو) من (منى) ، المقيدة في ركن حجرته ،
والخنى نحوها ، قاتلاً في سخرية :

— لقد خسرت هذه المهمة تماماً يا فتى ، لقد قتلت
زميلك ، وسدفع دولتك مليوناً من الدولارات في مقابل حياته
وحياتك ، أرايت ما هو أكثر طرافة من ذلك ؟

اعتالت عينا (منى) بالدموع ، وهي تهتف في خنق :
— إنني أفتني رؤية (أدهم) وهو يحطم فمك المقيت هذا .
أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة ، والتفت إلى
(جولدمان) ، الذي يجلس هادئاً في الركن الآخر من
الحجرة ، وقال :

— يبدو أن هؤلاء المصريين يؤمنون بالبعث حقاً يا سنبر
(جولدمان) ، إن هذه الفتاة تصوّر أن زميلها الشيطان
سيعود من العالم الآخر ليحطم فكّي .

ابتسم (جولدمان) في سخرية ، وقال :
— ستكون هذه هي أول مرة يعود فيها شيطان من الجحيم و ..
وارتجف جسده كريحة في مهب الريح ، حيناً ارتفع صوت
(أدهم) الساحر يقول :

٢٩

الأشجار ، ثم جردهما من مسدسهما ، وتأكد من امتلاكهما
بالذخيرة ، ودسهما في حزامه ، ثم التفت مدفعهما الرشاشين ،
فثبت أحدهما في كتفه ، وأمسك الآخر في قوة ، وهو يغمغم
في عزيمة :

— لقد عاد (أدهم صبرى) يا أوغاد الجبال .



٢٨

— سئل التاريخ إذن أيها الوغد ، فيها هي ذى المرة الأولى
تحدثت في وجودك .

كان وقع ظهور (أدهم) قوياً ، عجيباً ، متيناً ، فقد
شعب وجه (جولدمان) كالموتى ، وغاص في مقعده ، وهو
يرتجف كحشرة ميتة في جو شديد البرودة ، وتراجع
(سانشو) مصعقاً ، وجحظت عيناه ، وهو يحذق في
(أدهم) ، الذى أغلق باب حجرة (سانشو) خلفه ، ووقف
يتسم في سخرية ، مرتدباً حلّة الصاعقة ، ومصوّباً مدفعه
الرشاش إلى هذا الأخير ..

أما (منى) فقد خلق قلبها في قوة ، وترافق بين جنبها ،
وتفجرت دموع الفرح من عينيها ، واحتق صوتها ، قبل أن
تهتف في سعادة لم تشعر بمثلها من قبل :

— (أدهم) .. أنت ؟ أنت حتى ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— يبدو أن أحمك القرش لم تستع طعمى يا عزيزتى .
وهنا هتف (سانشو) في ذهول :

— هذا مستحيل !! لا أحد يعود من بئر الموت .

٣٠

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول في سخرية :

— إذن فأنا أجل اسم (لا أحد) أيها الوغد .

حذق (سانشو) في وجهه بذهول ، في حين استطرد
(أدهم) في صرامة :

— والآن حلّ قيود زميلتى في هدوء ، وحذار أن تركب
حركة واحدة مريبة ، وإلا أطلقت رصاصات مدفعى الرشاش
في جسدك الضخم .

تردد (سانشو) لحظة ، ثم سأله في خنق :

— كيف نجحت في الوصول إلى هنا ؟

مطّ (أدهم) شفاه ، وقال :

— لقد اضطررت للتخلص من ستة من ذئابك ، وأنا أشتق
طريقى إليك أيها الوغد ، ولقد عاوننى استرخاؤهم ، وهم
يظنون أنهم قد تخلصوا منى تماماً .

ظهر الغضب على وجه (سانشو) ، في حين انتزع
(جولدمان) نفسه من شحوبه ، وذهوله ، ورجبه ، وهو
يقول في حراسة :

— لا تقتلنى يا سنبر (أدهم) ، أرجوك ، سأدفع لك
نصف مليون دولار ، في مقابل ..

٣١



ثم عاد ينهض في شراسة ، وهو يمسح عيط الدم السائل
من أنفه المغطم ..

(٣٢ - رجل المسجل - دلاب وهما (٥٣))

قاطمه (أدهم) في صرامة :

— صه أيها الولد ..

وفجأة قفز (سانشو) نحو (أدهم) ، وهو يصرخ في

غضب :

— إنك لن تبرزني أيها الشيطان ، حتى وإن عدت من

أعماق الجحيم .

كان حجم (سانشو) يفوق حجم (أدهم) كثيرا ،

ولكن (أدهم) كان يفوقه مرونة ، وقوة ، وكان يمكنه أن

يمطره برصاصات مدفعه الرشاش ، ولكنه ، ولسب ما في

أعماقه ، كان يريده حيا ، لذا فقد ألقي مدفعه الرشاش ،

وتلقى (سانشو) بلمحة ساحقة في فكه ، أعقبها بأخرى

كالفيلة في معدته ، ثم نالته كالصاعقة في أنفه ..

وترنح (سانشو) ، وسقط أرضا ، ثم عاد ينهض في

شراسة ، وهو يمسح عيط الدم السائل من أنفه المغطم ، وهو

يقول :

— إذن فأنت تميل إلى القتال البدوي ، حسنا أيها

الشيطان ، أنا أيضا أهوى هذا النوع من القتال .

٣٢

وصلت صبيحة (جولدمان) إلى آذان (أدهم)

و (مني) ، و (سانشو) ، فهتف الأخير في وحشية ، وهو

يتحفظ للاقتصاص على (أدهم) مرة أخرى :

— لقد خسرت هذه المرة أيضا أيها الشيطان .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— كلاً أيها الولد ، فالأمر يختلف هذه المرة .

ثم قفز قفزة قوية وشيقة ، وركل أنف (سانشو) بقدمه

اليسرى ، وداز جسده في الهواء ، ليركل فكه بقدمه اليمنى ،

قبل أن تسفر قدماه على الأرض ، وتلصق قبضته اليمنى في معدة

(سانشو) وتنتطق قبضته اليسرى في صدره ، وما أن اغنى

(سانشو) من فرط الألم ، حتى صر (أدهم) قبضته ، وهوى

على مؤخرة عنقه بضربة صاعقة ، أطلق بعدها (سانشو)

خوارز كالنور ، وسقط تحت قدمي (أدهم) حنة هامدة ، وهما

قفز (أدهم) نحو (مني) ، ومثق فيودها بضربة سريعة

محكمة من حجره ، وهو يقول :

— هيا يا (مني) ، سأحتاج إلى تعاونك .

أسرعت (مني) لتلظط مدفقا راشاشا ، وهي تسأله في

تولر :

والندفع نحو (أدهم) في شراسة ، وطوّح قبضته نحو فكه ،

ولكن (أدهم) غاص إلى أسفل في سرعة ومهارة ، متفاديا

اللكمة ، ومال جانبا في رشاقة ، ثم انطلقت قبضته في فك

(سانشو) ، وانطلقت الأخرى في معدته ، وهو يقول في

سخرية :

— أعترف أنك تهوى القتال البدوي أيها النور ،

ولكنني — لسوء حظك — أحترفه .

جلس (جولدمان) يراقب ذلك القتال في دعر

وشحوب ، ثم لم يلبث أن تبه إلى الفرصة المتاحة له ، في أثناء

انشغال (أدهم) و (سانشو) في القتال ، فقفز من مقعده ،

وانطلق إلى باب الحجر ، ومنه إلى الخارج ، وهو يصرخ في

انفعال :

— هلموا يا ذئاب الجبال .. لقد عاد الشيطان المصري ،

وهما هو ذا يهاجم زعيمكم (سانشو) .. هلموا أيها الذئاب .

وفجرت صيحاته ذهول ذئاب الجبال لحظة ، ثم التفت كل

منهم مدلهه الرشاش ، وانطلقوا النجدة زعيمهم . وقل (أدهم

صبرى) .

٣٤

على بعد آلاف الأميال من جبال (الهنديز) ، ولإدارة
الخبايا العامة المصرية ، كان القلق والتوتر يسيران على
المكان ، حيث تم عقد اجتماع مصغر ضم مديري الخبايا
العامة ، ونائبه ، و (قندري) ، وغيره من الزواري في الإدارة ،
ليبحث أمر التهديد الذي ألقاه (سانشو) ، والذي أبقى به
السفير المصري ثوبا ، إلى مقر الخبايا المصرية في القاهرة ،
وكان مدير الخبايا يقول :

— المبلغ نفسه لا يقلقنا ، ف (أدهم) يستحق ما هو أكثر
من مليون دولار ، ولكن من ضمن لنا أن نستعيد (أدهم)

و (منى) ، بعد دفع الفدية ؟

أجاب (قندري) في قلق واضح :

— يمكننا أن نطالب بتأكيد وجود (أدهم) و (منى) على

قيد الحياة ، قبل أن ندفع دولارا واحدا يا سيدي .

وهنا هتف نائب مدير الخبايا :

— أعتقد أن لدى فكرة مناسبة .

التفت إليه المدير و (قندري) في اهتمام ، فاستطرد في
الفعال :

٣٧

— هل قتله ؟

دفع الباب بقدمه ، ثم أغلقه في إحكام ، وهو يقول :

— إنه يستحق ذلك ، ولكنني لم أفعل ، فأنا أريده حيا .

إنه فاقد الوعي فحسب .

ولم يكذب عارته حتى انتهت وصاحات المدافع الرشاشة

على الكوخ ، واشتعل القتال الشرس في أعماق (الهنديز) .



٣٦

— من الطبيعي أن يرفض (سانشو) هذا إحصار

(أدهم) و (منى) إلى مكان مختاره ، ولكنني لا أظنه

سيحضر ، إذا ما طلبنا منه اصطحاب أحد رجالنا إلى حيث

يحب (أدهم) و (منى) ، للتأكد من وجودهما على قيد

الحياة ، قبل دفع المبلغ .

عقد المدير حاجبيه ، وقال :

— يمكنه أن يقتل (أدهم) ، بعد انصراف رجلنا .

ساد الصمت مرة أخرى ، ثم غمغم (قندري) :

— أعتقد أنه ليس أمانا يا سيادة المدير سوى دفع الفدية ،

وانتظار النتائج في استسلام .

ثم أردف في ضيق :

— هذا إذا كنا نريد (أدهم) و (منى) حقا .

انتهت وصاحات ذئاب الجبال على كوخل (سانشو)

كالطير ، وغمغم (أدهم) وهو يجذب صمام مدفعه الرشاش :

— من حسن حظنا أن (سانشو) قد حصن كوخله الخشبي

في إحكام ، انقذنا لأي هجوم خاطف ، فسلك أعشاب الكوخ

لن تسمح بمرور الرصاصات ، إلا إذا أصابت عدة رصاصات

القلب نفسه .

٣٨

٣٩

تتمت (منى) في تولر :

— هذا مستحيل .

ثم أردفت :

— ولكن بقاينا هنا إلى الأبد مستحيل أيضا ، فلن يسمح

لنا هؤلاء الأوغاد بمغادرة المكان أحياء .

التفت (أدهم) إلى (سانشو) ، الفالقد الوعي وسط

كوخله ، وقال :

— ربما لو هددناهم بقتل زعيمهم ..

قاطعته (منى) في تولر :

— لن يرضخوا بأنفسهم من أجل أي كائن كان ، حتى

(سانشو) هذا .. لقد عاشتيم طويلا يا (أدهم) ، وأجزم

أنهم أكثر شراسة من الذئاب الحقيقية ، ولن تجد بينهم شهما

واحدا ، يضحي بنفسه من أجل هذا الوغد .

عقد (أدهم) حاجبيه في تفكير عميق ، وهو يغمغم ،

وكأنه يتحدث نفسه :

— لأبذل من وسيلة للخروج من هنا .

احتلت (منى) النظر إلى الخارج ، عبر فجوة صغيرة في

جدار الكوخ ، ثم هتفت في ذعر :

— يبدو أنهم قرروا نسفا يا (أدهم) ، إنهم يحضرون
مجموعة من القنابل اليدوية .
أسرع إليها (أدهم) ، وتطلع عبر الفتحة لحظة ، ثم
غمغم :

— نعم .. إنهم يحملون القنابل اليدوية ، وهذا سلاح
ذو حدين .

سألته (منى) في قلق :

— ماذا تعنى ؟

أجابها في هدوء :

— أعنى أن تأثير القنابل اليدوية يعتمد على المنطقة ، التى
تفجر فيها يا (منى) .

ثم حطم نافذة الكوخ الخشبية الصغيرة بكعب حدائه ،
وأطلق رصاصات مدفعه الرشاش نحو ذئاب الجبال .

لم تكن رصاصات (أدهم) مجرد طلقات منفردة ، لقد
حوّلها مهارته ، وعليقه المنظمة إلى قنابل متفجرة ، فهو لم يطلق
رصاصة واحدة نحو ذئاب الجبال ، بل أصابت رصاصاته
القنابل اليدوية التى يحملونها ..
وانفجرت القنابل ، وفقرت أجساد الذئاب في الهواء ،

٤٤

وتحوّل المكان في لحظة إلى ساحة قتال مشتعلة ، وصرخ أحد
الذئاب في ذعر :

— أبعدوا القنابل ، أو القوها على الكوخ ، فهذا الذئب
يسهلها لصالحه .

وانطلقت القنابل الباقية نحو الكوخ ، وانفجرت حوله في
قوة ، وسقط جداره الأيسر ، فصرخت (منى) :

— لقد فقدنا أحد سوارتنا يا (أدهم) .

ولكن الجزء الثانى من عبارتها اختفى مع صوت رصاصات
(أدهم) ، حينما قفز إلى الجانب المكشوف من الكوخ ، وأخذ

يطلق رصاصاته في إصرار ، وقوة ، ومهارة ..
كانا رجلاً ولقاة أمام جيش من الذئاب ، وكان الموقف

لا يوحى أبداً بالنصر ..

واسعد (سانشو) وعيه وسط المصعة ، وتطلع بعينين
زائفتين إلى (أدهم) و (منى) ، اللذين انهمكا في إطلاق النار

على رجاله ، دفاعاً عن حياتهما ، فمسح الدم الذى يلوث أنفه
وفمه بكفه ، وغمغم في خراشة وخفت :

— من الخطأ أن تولى عدوك ظهورك في أثناء القتال ، أيا
الشياطين المصرى .

٤٥

— سأنزلكما إرتاباً .. ستدفع لمن تلك الدماء أيا الشياطين
المصرى .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— اذهب إلى الجحيم أيا الوغد .

صاح (سانشو) في غضب هائل :

— ستدفع الثمن ، ستدفع الثمن .

ثم أشار إلى رجاله صانحاً :

— أعدوا الحفل يا رجال ، مشعل التيران فيما الليلة ،
وستأكل الذئاب لحمًا مشويًا لائتين من المصريين .



٤٣

ثم انقضّ على (أدهم) ، وطوّق عنقه بذراعه من الخلف ،
وهو يبتلى في وحشية :

— إبقى يا رجال ، لقد أصبكت الشيطان .. إبقى يا رجال .

كان هجوم (سانشو) مفاجئاً ، عنيفاً ، ولكن (أدهم) أدار
ذراعه حول جسده في سرعة ، وقبض على باقة قبض
(سانشو) ، وانحنى إلى الأمام ، ليلقى هذا الأخير عن ظهره ، ثم
دكّل وجهه في قوة ، ودفعه بعيداً عنه ، وقفز ليواصل إطلاق النار
على رجاله ، ولكنه فرجى بوهات المدافع الرشاشة في وجهه ،
ورأى (منى) مجرّدة من مدفعها الرشاش ، ترفع ذراعيها في
استسلام ، ومعهما تغمغم بصوت آسف ، وبعينين دامعتين :

— لقد فاجأتى هجومه ، وحينما التفت إلى صراعكما ،
بأعشى هؤلاء الذئاب ، وجردوني من سلاحى .

شهر (أدهم) بالحق لحظة ، ولكنه لم يلبث أن اسعد
مدوده ، وهو يقول :

— لا بأس يا عزيزى ، هذا هو القدر .. قدّرنا .

بهش (سانشو) والغضب يتقافز من عينيه وملاحظه ، وعاد
يسح دماء جراحه بكفه ، وهو يقول في ثورة :

٤٢

أعاد السفير المصرى (ليما) قراءة البرقية ، الواودة إليه من القاهرة ، للمرة الثالثة ، ثم تهّد ، وقال لسكربتيره :
— البرقية صريحة .. لقد وافقوا على دفع القدية كاملة ،
ودون قيد أو شرط .

عقد السكرتير حاجبيه ، وقال :

— هل سندفع مليون دولار لذلك الوغد (سانشو) ؟

مطّ السفير شففيه ، وقال :

— نعم .. عدّا ونقداً .

غمغم السكرتير في سخط :

— أهدأ ما فعلته مخايرنا مع ذئاب الجبال ؟

هتف السفير في صرامة :

— لقد فعل (أدهم صبرى) ما لا يجرؤ على فعله رجل

آخر ، وهو يستحق عشرة ملايين ، لا مليوناً واحداً .

ثم عقد حاجبيه ، وهو يردف في قلق :

— ولكن معرفى القصيرة بهذا الرجل ، تجعلى أدعو الله

(سبحانه وتعالى) أن أجده حياً ، حيناً يتسلم (سانشو) القدية .

٤٤

ظلّ (أدهم) هادئاً ، وذئاب الجبال يقيدونه إلى عمود
خشى قوى ، في حين ارتجفت (منى) ، وهم يقيدونها في
عمود خشبى مجاور ، وإن بذلت جهداً خارقاً للحفاظ على
هدولها الظاهرى ، ولكن رجفة قوية سرّت في جسدها ،
وامتلاً قلبها بخوف شديد ، حيناً بدأ الذئاب يحيطون قاعدة
العمودين بالخشب الجاف ، فغمضت في صوت مرتعد :

— لم أتصوّر أبداً أن نهايتنا ستكون على هذا النحو البشع .

أجابها (أدهم) في حنان :

— تعددت الأسباب والموت واحد يا عزيزتى .

ترقرقت عيناه بالدمع ، وهى تصمغ :

— ولكن الموت حرقاً أمر بالغ البشاعة يا (أدهم) .

شعر (أدهم) في تلك اللحظة أنه يكره ذئاب الجبال

كراهية شديدة ..

لم يكن الموت يخيفه ، مهما كانت وسيلة ، ولكنه كان

يشقى على (منى) ، من آلام تلك الميتة الرهيبة ، وتضاعفت

رغبته في الخلاص ، وحاول الوصول إلى عقدة الجبل الذى

يقبّده بأطراف أصابعه ، في حين استمرت (منى) في صوت

بالك :

٤٥

جسدكما لحظات ، وسلقى بهما إلى ذئاب وادى الهلاك ،
حتى تظل ذكراك هناك إلى الأبد .

عقد (أدهم) حاجبيه لحظة ، ثم ابتسم في سخرية ،

وقال :

— ذئاب وادى الهلاك أكثر رافة منكم أيها الجرد .

تألّقت عينا (سانشو) في وحشية ، وهو يقول في هجامة :

— بلا شك أيها الشيطان ، فهى تخشى العصور إلى وكرنا ،

مهما عضها الجوع .

ثم مال نحو (أدهم) ، وسأله في سخرية :

— هل هناك ما تريد قوله قبل أن أشعل فيك التيران أيها

الشيطان ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :

— نعم أيها الجربوع .

ضغط (سانشو) أسنانه على غضب ، وقال :

— ماذا تريد أن تقول ؟

ثم اتسعت عيناه في دهشة ، وانتقلت دهشته إلى الجميع ، حينما

رفع (أدهم) رأسه إلى أعلى ، وأطلق عواءاً قوياً ، كما يفعل الذئاب .

٤٦

ش عزائى الوحيد أنا سنموت ممّا يا (أدهم) .. لقد
تكرّبت فلنك طيلة عمرى .

.. أطلق (جولدمان) ، الذى اقترب منهما ، ضحكة

ساخرة ، وقال :

— يا له من حوار شاعرى ، في اللحظات الأخيرة !!

خدّجه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

— كم يسعدنى أن أقطع عبقك أيها الوغد .

عاد (جولدمان) يطلق ضحكته الساخرة ، ويقول :

— افعل ذلك حيناً لتلقى في الجحيم ، أيها الشيطان

المصرى .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— من يُذرى ؟ .. ربما التقينا قبل ذلك أيها الوغد .

اقترب (سانشو) منهما ، وقال في جدّة :

— ماذا يقول هذا الشيطان يا سنبور (جولدمان) ؟

أخبره (جولدمان) عن حديثهما ، فابتسم (سانشو) في

سخرية ، وقال :

— إن جحيمك أقرب ممّا تتصوّر أيها الشيطان المصرى ،

سنبشعل النار في أكرام الخطب هذه ، وسنشوى النار

٤٦



واقرب منها (سانشو) في هذه اللحظة ،
وهو يعمل الفص المشعل ..

مرّت لحظة من الصمت والذهول ، والجميع يحدّقون في وجه (أدهم) ، الذي أطلق عواء مرّة أخرى ، ثم أدار عينيه في وجوههم بسخريّة ، فهتف (جولدمان) :
— لقد جُنّ .. أراهن أنه فقد عقله ، لأريب أن فكرة الموت حرفاً قد أطارت صوابه .

ظلّ (سانشو) يحدّق في وجه (أدهم) لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، ومطّ شفيه ، وهو يغمغم :
— ينبغي ألا ندعه ينتظر طويلاً .

وتحرّك في هدوء نحو بعض الأغصان المشعلة باليران ، والنقط أحدها ، في نفس اللحظة التي سألت فيها (منى) (أدهم) في دهشة :

— لمّ فعلت ذلك يا (أدهم) ؟

ابسم في هدوء ، وهو يقول :

— إنه نداء الموت يا عزيزتي .

هفت في دهشة :

— نداء الموت ؟ .. ماذا أصابك يا (أدهم) ؟

اقرب منهما (سانشو) في هذه اللحظة ، وهو يعمل الفص المشعل ، وقال وهو يلوّح به في وجه (أدهم) :

٤٨

٧ — أياب الذئاب ..

أثار انقراض الذئاب الحيوانية ذعرا هائلاً وسط ذئاب الجبال ، وانغمرت أياب الذئاب في عشرات الأعناق ، وسالت الدماء أنهاراً ، ونجح بعض رجال (سانشو) في السقاط مدافعهم الرشاشة ، وأخذوا يطلقون رصاصاتها على الذئاب في رعب ..

ووسط كل هذه المعمة ، صرخ (سانشو) في وجه (أدهم) :

— أنت الذي فعل هذا .. لست أدري كيف بحق الشيطان ، ولكنك فعلته ، وأسأله اليران في جسدك ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي و ..

ولجأة تمرّر (أدهم) من قيوده ، بعد أن نجح في حل وثاقه ببراعة يحسده عليها (هوديني) نفسه^(٥) ، وهوت قبضته على فك (سانشو) كالقبيلة ، وألقته به على بعد ثلاثة أمتار إلى الخلف ، وهو في ذهول شديد ، ولم يكذب ينهض حتى انقضت قبضة (أدهم) على فكه مرّة أخرى ، وثالثة ، ورابعة ، فسقط

— وداعاً أيها الشيطان المصري ، سأصعب منك شيطاناً حقيقياً ، حيناً أشعل الجحيم في ساقيك .

وفجأة تردّد في المكان صوت عواء قويّ ، ولكن (أدهم) لم يكن صاحبه هذه المرّة ، بل كان مصدره نقطة ما وسط أشجار الغابة الكثيفة ، التي تحيط بوكر ذئاب الجبال ، وجاوبه (أدهم) بعواء مماثل ، أثار دهشة الجميع ، فهتف (سانشو) في غضب :

— ماذا يحدث هنا بحق الشيطان ؟

لم يكذبهم عبادة ، حتى ترددت عشرات الزيجرات الحيوانية من أعماق الغابة ، وابتسم (أدهم) في سخريّة ، وهو يقول :

— لقد حانت لحظة اختيار قوّتكم يا ذئاب الجبال .

وإثر صيحة قوية من حلق (أدهم) ، انطلقت عشرات من الذئاب الحقيقية من وسط الغابة ، وانقضت على ذئاب الجبال^(٦) .

كانت معركة مرعبة ، بين الحيوان والإنسان .

٥٠

(٥) (هوديني) : ساحر شهير ، اشتهر بقدرته على التحلّص من أصعب القيود ، في النصف الأول من القرن العشرين .

وشق الخجر الهواء في قوة ، ثم اخترق عني (جولدمان)
من الجانب الأيمن ، وبرز نصله من جانب عنقه الأيسر ،
وجحطت عينا (جولدمان) ، وترنخ في ذهول وألم ، ثم سقط
جثة هامدة ، وسقط الغصن المشتعل فوقه . فاشتعلت ثيابه ،
وتحول في لحظات إلى شعلة من النيران ..

وقفز (أدهم) إلى (منى) ، وحل وثاقها بسرعة ، وهو
يقول :

— هيا بنا يا عزيزي ، لقد تأجلت وليلة الليلة .

تعلمت بذراعه ، وهي تنف في سعادة :

— لقد كنت رائعا .. لم أكن أعلم أنك تحيد لغة اللذات
أيضا .

ابسم (أدهم) ، وهو يجذبها قائلا :

— هيا يا عزيزي .. سنبعد عن هنا ، قبل أن تتسب
المحركة .

أسرعا نحو العاية الخلفية ، ثم توقف (أدهم) ، وقال في
حزم :

— لحظة يا عزيزي .. هناك أمر لابد أن أفعله أولاً .

والتفت عيناها دهشة ، حينما عرفت هذا الأمر .

٥٣

عادت فوهات المدافع الرشاشة ترتفع ، وانطلقت ذئاب
الجبال تبحث عن (أدهم) و (منى) في شراسة ، حتى
أحياهم البحث ، فهتف أحدهم في سخط :

— هل مشتركهما يقرآن ؟

وهنا عقد آخر حاجيه ، وقال في قلق :

— أين (سانشو) ؟

نهت عبارته الجميع إلى إعطاء زعيمهم ، فانطلقوا يبحثون
عنه في كل صوب ، ثم لم يلبثوا أن اجتمعوا في منتصف الوكر ،
وقال أحدهم في تولر ، وهو يوجه حديثه إلى شاب منهم ،
مفول الضلالت ، بمجد الشعر ، له شارب كث :

— لا أول (سانشو) في أي مكان يا (جارسيا) .. لقد
بحثت بين الجثث وفي كل مكان ، ولم أعر على أدنى أثر له .

عقد (جارسيا) حاجيه ، وقال :

— لا يوجد سوى تفسير واحد يا رجال .

تطلع إليه الجميع في مزج من القلق والتساؤل ، فأردف
في لهجة حاسمة :

— لقد اصططحه الشيطان المصري معه .. بالقوة .

٥٥

زعم ذئاب الجبال فاقد الوعي ، دون أن يشعر به أي من
رجالهم ، وسط معركتهم مع آليات الذئاب .

لم يشعر به سوى (جولدمان) ، الذي جحطت عيناها
دعرا ، وهتف في ذهول :

— هذا مستحيل !!

ثم التقط غصنا مشتعل ، وجرى به نحو (منى) ، المقيدة
في العمود الخشبي ، وهو يتف في جنون :

— تشتعل النيران .. تشتعل .

وأطلقت (منى) صرخة مدوية ، وقد بدا لها الموت حرقا
على قيد خطوة واحدة منها .

وسط صرخات الرجال ، وزجرة الذئاب ، وطلقات
المدافع الرشاشة ، لم يسمع (أدهم) سوى صرخة (منى) ،
فالفتت إليها في جذة ، وراى (جولدمان) يسرع نحوها ،
والغصن المشتعل في يده ..

وفي حركة سريعة للغاية ، التقط (أدهم) الخجر المثبت
في عنق حذاء (سانشو) ، وألقى به في إحكام وبراعة ، في
نفس اللحظة التي اغنى فيها (جولدمان) ، ليشعل الحطب
الجبال عند قاعدة العمود الخشبي ، الذي قيدت إليه (منى) .

٥٤

استغرقت الحركة بين ذئاب (سانشو) ، وذئاب مملكة
الحيران وقتا قصيرا ، أيقنت الذئاب خلاله من صعوبة مواجهة
الأسلحة النارية . فأطلق زعيمها عواء قويا ، وانطلق عائدا إلى
العاية ، وتبعه باقي القطيع ، الذي لم يلبث أن اختفى وسط
الأغصان المشابكة ، وإن ظل رجال (سانشو) يطلقون
مدافعهم الرشاشة لحظات ، قبل أن ترتفع أصابعهم عن
أزندتها ، وبسود الصمت التام في وكر الذئاب ..

كان المكان يبدو غيفا ، وهو يمثل بمشرات من جثث
الذئاب ، والرجال ، وتسلل فيه الدماء أنهارا ، حتى أن البقية
من رجال (سانشو) ارتجفوا في تولر وخوف ، وهم يتطلعون
إلى بحيرة الدماء ، التي تفيض فيها أقدامهم ، قبل أن تنف
أحدهم في خنق :

— كيف فعل ذلك الشيطان هذا ؟

زفر آخر في خنق ، وقال :

— إنني لم أر مثل ذلك في حياتي كلها .. لقد بدا الأمر أشبه
بالروايات الخيالية .

وفجأة هتف ثالث :

— يا للشيطان !! .. لقد قرأ المصري وزميلته .

٥٤

سرت هممة غاضبة بين الصفوف ، فاستطرد (جارسيا)
في حماس :
— ولكننا نستعيد زعيمنا يا رجال .. نستعيده مهما
كان الثمن .

استعاد (سانشو) وعيه في بضع ، وشعر بالقبود الضخمة ،
التي تقيد معصيه في قوة ، وتناهي إلى سمعه صوت (منى) ،
وهي تقول لـ (أدهم) في خفق :
— مازلت لا أفهم لماذا لاصطحب ذلك الخنزير معنا ، ونحن
نسعى للهرب .. إنه سيموت طريقنا ، ويجعل رحلتنا أكثر
خطورة .

أجابها (أدهم) في هدوء :

— هذا الخنزير أخطر الذئاب يا (منى) ، وأكثرها ذكاءً
ووحشية ، ووجوده معنا ، وأمام عيوننا ، يجعلنا في وضع أكثر
أماناً ، من أن يسمى رجاله خلفنا تحت قيادته .

هزت (منى) كفتها ، وقالت :

— مازلت أصر على خطري اصطحابه .

فصح (سانشو) عينه ، وقال في برود :

٥٦

— استمع إليها أيها الشيطان ، فهي على حق .
عقدت (منى) حاجبها ، وهي تلقت إليه في خفق ، في
حين تطلع إليه (أدهم) في سخرية ، وقال :
— هلا أبطقت شفيتك جفاً على أسنانك أيها الوغد .
عربد الغضب على وجه (سانشو) ، وقال في حمدة :
— أنت مفروغ عني أيها الشيطان ، وجودي معك سيدفع
رجالي لكلهم لمطاردة تلك في شراسة ، وسيكون على رأسهم
تلميذي (جارسيا) ، الذي سيضيق الحناق حولك ، حتى
يقطعك ، أو تسلم له .

غمغم (أدهم) في سخرية :

— هل سيخاطر بقتل أسناده ، وزعيمه ؟

عقد (سانشو) حاجبها ، وهو يقول في شراسة :

— إنه لن يتردد في قتل ، إذا ما كانت هذه هي الوسيلة
الوحيدة لفزيتك ، ولقد لقيته أنا هذا الدرس ، وهو تلميذ نجيب .
صمت (أدهم) لحظة ، تبادل فيها نظرات التحدي مع
(سانشو) ، ثم قال :

— ستكون هناك وسيلة للفرار ، دون مواجهة رجالك ،
ولاشك .

٥٧

— ولكن يا (أدهم) ..
عاد يقاطعها ، قائلاً :
— لا فارق يا عزيزي .. كل الطرق تقود إلى نهاية
واحدة .
واتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يردف في هدوء :
— الموت .



٥٩

هتف (سانشو) في سخرية :
— هذا مستحيل أيها الشيطان ، فلا يوجد دخول أو
خروج من وكركنا — سوى طريقين . إما عبر وادي الهلاك ،
أو (الطريق إلى الجحيم) ، ولن يمكنك اقتحام الأول ، لأن
موقعنا هذا يجعل رجالنا يحولون بينك وبينه ، ثم إنك لن تتجمع
في عبور فوهة الموت ، وأنا أسرك ، أما (الطريق إلى
الجحيم) ، فهو ممر ضيق بين جبلين ، زرعت أرضه بالألغام ،
ويقوم على حراسته عشرة من رجالنا بمذاهمهم الرثاسة ، ولن
يتمكنك اجتيازه أبداً .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— شكراً أيها الوغد .. لقد أخبرتني ما كان يتقصى من
معلومات .

عقد (سانشو) حاجبها في دهشة وغضب ، في حين هتفت
(منى) :

— ماذا تعني يا (أدهم) ؟ .. هل سذهب إلى .. ؟

جث الدم في عروقها ، حيناً قاطعها ، قائلاً في هدوء :
— ستتخذ الطريق إلى الجحيم يا عزيزي .

هتفت في تولر :

٥٨

واصمت ابتسامته ، وهو يردف في حراسة :

— سيق الشيطان المصرى بين شُبَّي الرَّمى .

أصقت (منى) فؤة مسدسها برأس (سانشو) ،
لجبره على التزام الصمت ، في حين اختفى (أدهم) خلف
أكمة متشابكة الأغصان ، يتطلع في تركيز واهتمام إلى الممر ،
الذى يطلق عليه ذئاب الجبال اسم (الطريق إلى الجحيم) ..
ومضت دقيقة كاملة ، قبل أن يلتفت (أدهم) إلى
(منى) ، ويقول :

— إنهم عشرة رجال بالفعل ، يخفون خلف دروع من
الخشب السميك ، مثل تلك التى أقام منها الوغد كوخه .

غمغم (سانشو) في سخط :

— لن يمكنك عور (الطريق إلى الجحيم) إلا لجة هامة .

أشار إليه (أدهم) بيده ، وقال في صرامة :

— اصمت أيها الوغد .

ثم قال لـ (منى) :

— ينبغي أن نجد خطة للعبور بسرعة يا (منى) ، وإلا
أصبحتنا محاصرين بين رجال (سانشو) ، وهؤلاء الذين
يقومون على حراسة الممر .

٦٦

غمزت الشمس منطقة جبال (الإنديز) بضوئها ،
وحرارها ، في منتصف النهار ، وجفَّ الرجال عرقهم
الغزير ، وزغفروا في تعب وتوتر ، قبل أن يلتفت أحدهم إلى
(جارسيا) ، ويسأله في قلق :

— هل أنت والتى أن الشيطان المصرى ، سيخذ ذلك
الطريق يا (جارسيا) ؟

أوماً (جارسيا) برأسه إيجاباً ، وقال :

— لن يكون أمامه سوى ذلك ، فقد هرب في أثناء قتالنا
مع قطع الذئاب ، وكنا نحن والذئاب نسد عليه الطريق المؤدَّعة
إلى وادئ الهلاك ، فليس أمامه إذن إلا اتخاذ (الطريق إلى
الجحيم) .

مطَّ الرجل شفطيه ، وغمغم :

— يبدو أنه لا يعلم ما ينتظره هناك .

ابتسم (جارسيا) في ثقة ، وقال :

— إنه الجحيم بعينه يا رجل ، سينظره رجالنا عند الممر ،
بعد أن أبلغناهم لاسلكياً ، وسنطبق نحن عليه من الخلف ،
ونذهبه رصاصاتنا .

٦٠

سأته (منى) في قلق :

— هل لديك خطة معينة ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وغمغم في تفكير :

— لا بد من وجود منفذ ما يا (منى) ، فمن المستحيل

أن ..

بتر عبارته فجأة ، وتألَّقت عيناه في قوَّة ، ثم جذب إليه
(سانشو) في جذَّة مباغتة ، وقال في صرامة :

— لا بد أن هناك وسيلة ما لعبور الممر ، وتفادى الألغام
أيها الوغد ، كما يحدث في المناطق المغمورة في أثناء الحروب ،
وإلا لما تمكَّن ذئاب الجبال أنفسهم من اجتياز هذا الطريق ..
توجد خريطة للألغام ، أليس كذلك ؟

جفَّ لعاب (سانشو) أمام صرامة (أدهم) الخفيفة ،
ولكنه أجبر نفسه على الإصمات في سخرية ، وهو يقول :

— ينبغي أن نتخلص من حُرَّاس الممر أولاً أيها الشيطان .

غمغم (منى) :

— وسريعاً ، قبل أن يطبق علينا رجال (سانشو) من
الجانب الآخر .

عاد (أدهم) بعقد حاجبيه مفكراً ، ثم قال في لهجة جافة

حازمة :

٦٣



أصقت (منى) فؤة مسدسها برأس (سانشو) ،
لجبره على التزام الصمت ..

— هناك وسيلة وحيدة لإنهاء الأمر بسرعة يا (منى) .
وصوب مدفعه الرشاش في هدوء إلى التحصينات الخشبية
السميكة ، التي يجتنب خلفها رجال (سانشو) ، وقبل أن
يفقد الزناد ، ارتفع زفير قوي ، انفتحت الجميع إلى مصادر
في حركة حادة ، فطالعهم حيوان ضخم ، يشبه أفعى في
مظهره ، والنفث في حجمه ، وكان يتطلع إليهم في تحفز ،
وأنيابه الحادة الطويلة تنعكس مع ضوء الشمس ..
كان اسمه (أسد الجبال) ..

غمغمت (منى) في ثوبه ، وهي تحديق في الوحش
المفترس ، الذي يتحفز للانقضاض عليهم :
— أطلق النار عليه يا (أدهم) .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في هدوء :
— من الخطأ أن أعلن عن وجودنا بإطلاق الرصاص
يا (منى) ، وإلا ضاع منا عنصر المفاجأة .
قال هذا واستلّ خنجره من عنق حذائه ، وشهره في وجه
أسد الجبال ، فغمغم (سانشو) في مزيج من الخفق والذهول :
— ماذا سيفعل ؟ .. هل سيقايل أسداً جبلياً بخنجر ؟

٦٤

تناهت أصوات الرصاصات إلى مسامع (جارسيا)
ورجاله ، فصاح في الرجال :
— أسرعوا يا رجال ، لقد بدأ القتال في الطريق إلى
البحيم ، ولست أحب أن نضيع لحظة واحدة منه .
لنا (أدهم) و (منى) ، فقد احتجيا خلف جذع شجرة
كبيرة ، في الوقت الذي انبالت فيه رصاصات حراس الممر
كالطر ، وهتفت (منى) :
— هذا الخنزير الأسود الخطأ كلها .
أجابها (أدهم) في هدوء ، وهو يجتلس النظر إلى الممر :
— لم يضع كل شيء بعد يا (منى) .
ثم أردف في اهتمام :
— إنهم عشرة رجال ، وكل منهم يجتنب خلف حاجز من
الألواح الخشب السميكة ، ويطلق النار عبر ثقب خاص في
الألواح ، ولكن ..
ضالت عيناه ، وهو يحديق في الألواح الخشبية باهتمام ، ثم
انتم في هدوء ، وغمغم :
— اعتقد أن هؤلاء الحراس سيقتلون مفاجأة مذهلة
بإعززي .
وفي هدوء ، صوب مدفعه الرشاش ، وأطلقه ..

٦٥

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته وثب الأسد الجبل ،
وانقض على خصمه ، ورفع (أدهم) خنجره في وجهه ، ثم
اشتبك مع الأسد في قتال عنيف ..
كان أسد الجبال شرساً قوياً ، يحاول تمزيق خصمه بمخالبه
الحادة ، أو غرس أنيابه الطويلة في عنقه ، ولكن (أدهم)
غرس خنجره في معدة الأسد الجبل ، بكل ما يملك من قوة ،
ودفع نصله إلى أعلى ، فشتى بطن الأسد ، الذي زار في ألم
وغضب ، ومزق ستره (أدهم) بمخالبه ، وحاول معاودة
الهجوم ، على الرغم من أحشائه المتدلية ، ولكن (أدهم) لم
يمنحه فرصة ثانية ، فقفز فوق ظهره ، وأغمد خنجره في عنقه ،
وذبحه كالنعاج ..

كان المشهد مذهلاً بالنسبة لـ (سانشو) ، ولكنه شعر أنها
فرصة مثالية للفرار ، وإنذار رجاله ، فدفع (منى) فجأة ،
بمرفقه ، وانطلق يعدو نحو الممر ، وهو يصرخ في الرجال :
— النجدة يا رجال !! أنا زعيمكم .. أنا (سانشو) ..
اقتلوا الشيطان المصري .. فقد أطلق الرجال العشرة ، انضموا خلف
السواتر الخشبية السميكة ، تيران مدافعهم الرشاشة ، نحو
المنطقة التي يجتنب فيها (أدهم) و (منى) ..

٦٥

(م ٥) — رجل المستحيل — ثواب ودعاء (٥٣)

وارتفعت صرخة أحد الحراس ، وسقط من مكانه
مجنحاً ، ولجعه ثاب ، وثالث ، فصاحت (منى) في دهشة :
— كيف أمكنت إصابتهم خلف السواتر الخشبية
السميكة ؟

انهم ، وهو يقول في هدوء :
— نفس البندق يا عزيزي .. عدة رصاصات في الثقب
ذاته .

سقطت فكها السفلى في دھول ، وهي تهتف :
— ولكن هذا ، هذا مستحيل .

هزّ كفيه في لامبالاة ، وعاد يطلق رصاصاته بتلك الدقة
المذهلة ، التي جعلت (سانشو) يصرخ في دھول :
— هذا مستحيل !! تلك الألواح أصحك من أن تخترقها
ورصاصات مدفع رشاش .

هتف أحد رجاله الخمسة الباقين في دعر :
— ولكن هذا الشيطان فعلاً .. لقد أسقط نصفنا في خمس
دقائق .

عقد (سانشو) حاجبيه في غضب ، وقال :
— فلنطلب الألواح ورصاصات المدافع الرشاشة إلى

٦٧

التجرت القنابل الخمسة في دوى هائل ، لم يلبث أن تحول
إلى سكوت رهيب ، لم يقطعه إلا صوت (سانشو) ، وهو
يهمهم :

— هل .. هل انتهى كل شيء ؟

ثم أحد رجاله في خيرة :

— لقد كان يطلق الرصاص حتى اللحظة الأخيرة ، ولن
يمكنه الفرار و ..

بر الرجل عبارته في غفوت ، وكأنما يعجزه الشك عن
إنقائها ، فهتف (سانشو) :

— دعونا نرى يا رجال .. لن أتق في مصرع هذا
الشیطان ، ما لم أر أشلاءه بنفسى ..

تقدم الرجال الخمسة في حذر ، وهم يشهرون مدافعهم
الرشاشة ، ويهمهم (سانشو) وهو يقدم رجلاً ، ويؤخر
أخرى ، حتى أصبحوا عند المنطقة المضجرة ، فبحقوا في
أرجلها باهتمام وقلق ، قبل أن يهمهم أحدهم :

— لقد تلاشيا .. لا يوجد أدنى أثر لهما .. هل نسلهما
الانفجار ثماناً ؟

الجحيم .. سنسلف هذا الشيطان نسلاً .. سنغمره بالقنابل
اليدوية .

تحلى الرجال الخمسة عن سواثرهم الخشبية ، وأسرعوا إلى
كهف صغير ، انزعوا منه صندوقاً خشبياً ، يمتلئ بالقنابل
اليدوية ، وحمل كل منهم قبلة ، وهتف بهم (سانشو) :

— ألقوا قنابلكم يا رجال .. أريد أن أجمع بقايا هذا
الشیطان المصرى بملقط صغير .

والقى الرجال الخمسة قنابلهم في تناوب متفن ، وتحولت
المنطقة التي يختبئ فيها (أدهم) و (منى) إلى أشلاء ..



صاح آخر في لهفة :

— لقد عثرت على المدفع الرشاش .

أسرع (سانشو) ، والرجال الأربعة الآخرون إليه ،
واستطف (سانشو) للمدفع الرشاش في لهفة ، وهتف في ظفر :

— هذا دليل كاف .. لقد قتلها الانفجار .

أشار أحد رجاله إلى عيط من النايلون ، يتدلى من زنادة
المدفع الرشاش ، وسأله في خيرة :

— ما هذا ؟

اتسعت عينا (سانشو) في مزيج من الذعر والدهشة ،
وهو يتحدث في الحظ ، وهتف في رعب :

— يا للشیطان ! ! إنها نفس الخدعة القديمة ، لقد كان
يطلق المدفع الرشاش من بعد .. إنه .. إنه ..

قاطعهم صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول :

— إننى لم أمت .. هذا صحيح أيها الوغد .

استدار (سانشو) ورجاله الخمسة إلى مصدر الصوت ،
لفظا لهم وجه (أدهم) الساخر ، ووجه (منى) الصارم ،
وهما يصوران إليهم مدفعين رشاشين ، فاحتقن وجه (سانشو)

خفناً ، وهو يقول :

— أى شیطان أنت ؟

هز (أدهم) كفيه في استهزاء ، وقال :

— أنت صاحب فكرة إلقاء القنابل أيها الوغد ، وكل
ما فعلته أنا هو حسن استغلال خطتك أنت .

ثم ابتسم في سخرية ، وأردف :

— لقد كنتم تسدون الممر الوحيد ، الذى يقودنا إلى
الحرية ، ولقد أردت إبدال الأدوار ، وهأنتم أولاء تقفون

وسط الأذغال ، في حين نسيطر أنا وزميلتى على مدخل الممر .

ساد الصمت لحظة ، ثم صاح (سانشو) فجأة :

— صوبوا أسلحتكم إليه يا رجال .

رفع الخمسة فوهات مدافعهم الرشاشة في سرعة نحو

(أدهم) و (منى) ، ولكن أيضاً من رصاصات مدفع

(أدهم) الرشاش ، ألقى المدافع الرشاشة الخمسة بعيداً ،

وجعل أصحابها يراجمون في ذعر وذهول ، قبل أن يغط هو

شفتيه ، ويقول متهمكماً :

— ماذا أصابك أيها الوغد ؟ .. حتى الحمار يتعلم بالتجربة

والخطأ .

عاد وجه (سانشو) يتحنن في غضب ، في حين استطرد

(أدهم) في صرامة ، وهو يشير إليه ، وإلى رجاله :

— هيا أيا الأوغاد .. ستقذموننا عبر الطريق إلى الجميع ،
فأنتم تعرفون الطريق الآمن من الألفام .

تردّد الرجال الخلسة لحظة ، ولكن صيحة صارمة من
(أدهم) جعلتهم يتقدمون رافعي الأذرع ، وخلفهم
(سانشو) ، الذي غمغم في خنق :

— مازال الطريق أمامكم طويلاً أيها الشيطان .. إنك لم
تنتصر بعد .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وقال :

— تقدّم في صمت ، وإلا أطلقت النار على مؤخرتك أيها
الخنزير .

وفجأة دوى صوت طلقات نارية ، عل بعد نصف
كيلو متر خلف (أدهم) ، وارتفع صوت عبر مكبر صوت
يقول :

— اصعدوا يا رفاق ، نحن في الطريق إليكم .. هنا
(جارسيا) على رأس فريق المطاردة .. أكثر .. نحن في الطريق
إليكم .

ألغيت الكلمات نفس (سانشو) ، وردّت إليه أمل
النصر ، فقفز نحو (أدهم) في وحشة ، وهو يهتف :

٧٢



أما (أدهم) فقد استغل الانفضاض (سانشو) بكلمة
ساحقة ، أزاحته عن طريقه .

— اهجموا يا رجال ، لقد وصل (جارسيا) .
وانقض الرجال الخمسة على (أدهم) و (منى) ..

عل الرغم من مفاجأة الانفضاض ، إلا أن التدرّيات
المكثّفة ، التي تلقاها رجال المخابرات ، تجعلهم قادرين على
الاستجابة السريعة ، مهما بلغت شدة المفاجأة ..

ولقد تحرّكت (منى) في سرعة ، فأطلقت رصاصات
مدفعها الرشاش على أقرب المهاجمين إليها ، قبل أن يطيح الثالث
بسلاحها ، ويطلقها بذراعيه في قوّة ، أما (أدهم) فقد
استغل الانفضاض (سانشو) بكلمة ساحقة ، أزاحه عن
طريقه ، ثم المحنى بفجأة لكمة رجل آخر ، وقفز متجاوزاً للكمة
ثان ، ودار حول نفسه في الهواء .. وركل وجه أحد الرجال ،
ثم هبط على قدميه ، وحطم أنف الثاني ، وهشم فك الثالث
بلكمين متتاليين ، أودعهما كل قوته وإصراره ، في حين
غاصت (منى) ببرفقها في معدة الرابع ، وأحنت رأسها
لتسمح للقبضة (أدهم) بكسر أسنانه ، وضمه إلى رفاقه ،
الذين سقطوا فاقدي الوعي ..

وعلى الرغم من ضخامة جسد (سانشو) ، إلا أن

٧٣

(أدهم) انزعه من سقطته بذراع فولاذية ، وأجبره على
الوقوف ، وهو يقول في صرامة وغضب :

— لقد أصبحت دليلاً الوحيد أيها الثور ، وستقودنا عبر
الطريق إلى الجميع ، وإلا قطعت أطرافك قطعة قطعة .

قال هذا ، ودفع (سانشو) أمامه في قسوة إلى بداية الممر ،
فهبط زعيم الذئاب في خنق :

— لا تحاول .. لن أصبح لك بالفرار أبداً .

دفعه (أدهم) في قوّة ، وقال :

— حسناً .. سأجبرك على عبور الممر ، وسنكفي بصبح
خطواتك .

كانت دھمات (أدهم) القوية تحير (سانشو) على المضي
عبر الممر ، وكان يقفز إلى النفاط التي لا تخفى الغاماً ، خوفاً
من أن يخطئ خطوة واحدة ، فيتحوّل إلى أشلاء متناثرة ،
وكان (أدهم) و (منى) يتبعان خطواته في حذر ، حتى عاد
صوت (جارسيا) يرتفع .. عبر مكبر الصوت :

— منتبھم إليكم بعد لحظات يا رفاق .. اصعدوا .

وغمغم (سانشو) في توكّر :

— سيلحقون بنا قبل أن نعبّر الممر ، وسيطلقون النار
عليكما بلا رحمة .

٧٥

أوقفه (أدهم) فجأة في جذة ، وانضت إلى (منى) ،
قائلاً :

— صوّف مسدسك إلى رأس هذا الخنزير يا (منى) ،
وأطلق النار بلا رحمة ، إذا ما بدت منه أية محاولة للفرار .
صوّبت (منى) مسدسها إلى رأس (سانشو) ، وسألت
(أدهم) في قلق :

— ماذا تنوي أن تفعل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

— تقدّمي أنت عبر الممرّ يا (منى) ، وسأحاول أنا إيقاف
القادمين .

عادت تسأله في عناد وقلق :

— ولكن كيف ؟

صمت لحظة ، ثم قال :

— سأنتظر وصولهم إلى الممرّ ، ثم أطلق النار على الأعلام
المدفونة فيه ..

واجسم في سخرية ، وهو يردف :

— سأقلب وسألقم الدفاعية على رؤوسهم كالعادة
يا عزيزتي .

٧٦

تحرك (سانشو) عبر الممرّ في حق ، و (منى) تتبع
خطواته ، ومسدسها مصوّب إلى رأسه ، وغمغم هو في
سخط :

— لن ينجح زميلك أيها الفتاة .

عقدت (منى) حاجبها ، وهي تقول في صرامة :

— لقد أصبح قولك هذا مكزّراً سخيفاً أيها الخنزير .

قال (سانشو) في هدوء أدهشها :

— هل تعلمين أن ذخيرة مدفعه الرشاش قد قاربت على

النفاد ؟ .. وأنه لا يملك ذخيرة إضافية ؟

أجابته في جذة :

— لا تدع هذا يشغلك ، سلعي (أدهم) النظام الآلي

للمدفع الرشاش ، وسيحوّله إلى بندقية ، تطلق رصاصات

واحدة بعد الأخرى ، وستكون لديه — حينئذ — عشر

رصاصات ، وهي تكفيه .

غمغم (سانشو) في صوت أقرب إلى السخرية :

— إنها لن تكفيه .

قالت في غلظة :

— تذكر أن كل واحدة منها ستحوّل إلى قنبلة ، حينما

تصيب اللّغم .

٧٧

١٠ — الانفجار ..

كان (أدهم) يتوقع انفجاراً قريباً ، حينما أطلق رصاصته
الأولى نحو النقطة ، التي تتوقع وجود اللّغم فيها ، ولكن
الرصاصات لم تسفر إلا عن دويّ متردد في أنحاء الممرّ ، وصوت
ارتطام معدني بسطح اللّغم ، وإعلان عن وجود (أدهم) ..
وقفز (جارسيا) مخفياً خلف أحد الصخور .. وصاح في
رجاله :

— اختبئوا يا رجال ، وأطلقوا النار ، لقد نجح الشيطان
في احتلال الطريق إلى الجحيم .

أخذ الذئاب يطلقون رصاصاتهم نحو الصخرة التي يحتتمي
خلفها (أدهم) ، في حين غمغم هو في مسخط :

— اللعنة !! هذه الأعلام لن تنفجر بإطلاق رصاصاتي .

ثم امسك في حق :

— يا له من موقف !! أقل من عشر رصاصات في مواجهة

عشرين رجلاً ، وفي منطقة منبسطة ، يصعب العدو فيها ، دون

أن يصاب المرء بعشر رصاصات على الأقل .

كان صوت الرصاصات التي ترتطم بالصخرة ، التي يحتتمي

٧٨

أطلق (سانشو) ضحكة ساخرة مخافتة ، وقال :

— هذا ما أريد قوله يا فتاتي ، فذلك الأعلام لن تنفجر إذا
ما أطلق عليها النار ، إنها معدة للانفجار تحت تأثير القتل المباشر
فحسب .

تولّفت (منى) بغتة ، وشحب وجهها في تولّر ، وهي
تغمغم في جزع :

— يا إلهي !! .. (أدهم) .

وفي نفس اللحظة التي نطقت فيها بعبارة الملتاعة ، كان
(أدهم) يضرب سلاحه إلى أحد الأماكن ، التي تحاشاها
(سانشو) ، وينتظر حتى تعبر ذئاب الجبال ، ثم يطلق النار ..



٧٨

وأصابت الرصاصات هدفها في براعة ، وانفجرت القنابل اليدوية ..

انفجرت انفجاراً هائلاً ، تردّد صدها في جبال (الإنديز) كلها ، وانبأرت له الصخور من جبال الممر ، ولم تكد تسقط فوق الأتغام المزروعة في باطنه ، حتى انفجرت بدورها ، واستحى الممر عن جدارة اسم (الطريق إلى الجحيم) ..

وتصلبت (منى) مع دوى الانفجار الهائل ، وارتجفت أطرافها ، وهي تهتف في جزع :
— رباه !! .. (أدهم) !؟

وفجأة انقضّ (سانشو) بجسده الضخم على جسدها الضئيل ، وأطاح بجسدها بضربة قوية عنيفة .. حاولت (منى) أن تقاومه في شراسة ، ولكن قوتها لم تكن تساوى شيئاً أمام عضلات (سانشو) المقتولة ، وجسده الضخم ، وقسوته ..

لقد لكهنا زعيم الذئاب في قسوة بالغة .. ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم ففز وانقط مسدسها ، وصوّره إليها ، وهو يهتف في وحشية :
— لقد خسرت أبنتي المصرية .

٨١

(٦٠ — رجل السمبل — كتاب وداع (٥٣))

خلفها ، غمماً مزعجاً ، ولكنه استرخى في هدوء ، وهو يقول لنفسه :

— أهى النهاية يا (أدهم) ، .. أم أنه هناك وسيلة للفرار ؟
وفجأة تألّقت عيناه ، وهتف في الفعّال :
— بالطبع هناك وسيلة للفرار .

وأغلق عينيه في قوة ، وهو يحاول استعادة مشهد ما في ذاكرته ، ثم ابتسم في سخرية ، وقال :

— سيحدث الانفجار ، حتى وإن رفضت الأتغام أيما الأوغاد .

ثم برز من خلف الصخرة فجأة ، وأطلق كل الرصاصات الباقية في مدغمه الرشاخ ، نحو نقطة واحدة ، حدّدها ذاكرته مسبقاً ..

كانت براعة نادرة من (أدهم) ، أن يختار هذا الهدف بالذات ..

لقد استعادت ذاكرته مشهد حراس الممر الحمية ، وهم يخرجون الصندوق الخشبي ، المملئ بالقنابل اليدوية ، من الكهف الصغير ، واختار هذا الصندوق هدفًا لرصاصاته ..

٨٠



ودفعها لترتطم بالصخور ، ثم ففز وانقط مسدسها ، وصوّره إليها ..

نهضت (منى) في صعوبة ، وهي تشعر بآلام رهيبة في جسدها ، من أثر ارتطامها بالصخور ، وقالت في خنق :
— هذا الانفجار يؤكد أنّ (أدهم) قد نجح .
ابتسم (سانشو) في سخرية وشراسة ، وهو يقول :
— هذا الانفجار الهائل ، يؤكد أن نصف الممر الذي عبرناه قد تحوّل إلى فتات صخور ، وأن الجميع قد لقوا حتفهم ، حتى شيطانك المصرى .

هتف في استنزاز :

— ألا عينيك مصرع وجمالك ؟

لوح بذراعه في خنق ، وهو يقول في خشونة :

— فليذهب الجميع إلى الجحيم .. المهم أن أبقي أنا .

ثم رفع مسدسه إلى رأسها ، وهو يردد في وحشية :

— أنا فقط .. وداعاً أبنتي المصرية .

بدا المشهد في اللحظة التالية كالعجزة ، فقد برز (أدهم) فجأة ، وانقضّ على (سانشو) كفهذه بيب على فريسته ، وركل مسدس (سانشو) في مهارة ، ورشاقة ، وسرعة ، ثم غاص بقبضته في معدته ، وهوى بقبضته الأخرى على فك

٨٣

(سانشو) ، الذى ترحل من فرط ألمه وذهوله ، وسقط أرضاً
جاحظ العين ، وهتف فى رعب هائل ، وهو يتطلع إلى
(أدهم) :

— هذا مستحيل !! أنت لست بشراً .. هذا مستحيل !!
أسرعت (منى) إلى (أدهم) ، وهى تهتف فى مرح :
(أدهم) .. حمد الله على سلامتكم .. لقد أصبحت أشبه
بملأى الحارس .

ابتسم فى حنان ، وهو يربّت على شعرها ، قهقراً :
— إنها أول مرة يخاطبني فيها أحد بخلاف لفظ الشيطان ،
الذى ألقته تماماً يا عزيزى .

ثم التحى فى هدوء ، والفظ السدس ، وصوّبه إلى
(سانشو) ، وهو يقول فى صرامة :

— هياً أيها الورد .. مازال الطريق آمناً طويلاً .

كانت التصاربات (أدهم) الخوالية المذهلة ، ولجائه من
أهوال شتى ، يشيب لها الولدان ، قد حطمت (سانشو) ،
وانهكت جسده ومعنوياته ، حتى أنه بدا كعجوز متالك ،
وهو يغمغم فى صرامة :

— الرحمة يا سيور (أدهم) !! اتركى أرجوت ..
سأوصلك إلى نهاية الممر ، ونفترق .

٨٤

هز الرجل رأسه نفياً ، وقال :

— لا يا (جارسيا) ، لقد رأيتك يلفظ فرق الصخور ،
ويعود كالشيطان ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار .
زفر (جارسيا) فى غضب ، وهو يردد :

— سيدفع الثمن .
غمغم الرجل فى تردد :

— إننا أربعة رجال فحسب يا (جارسيا) ، وأحدنا
مصاب بجرح فى ذراعه .

صاح (جارسيا) فى جنون :
— سأواصل المطاردة ، حتى وإن بقيت وحدى أيها

الرجل .
ثم استطرد فى وحشية :

— لن يحمل هذا الشيطان أبداً لقب الرجل الذى هزم
(ذئاب الجبال) .

اجتاز (أدهم) و (منى) و (سانشو) الطريق إلى
الجسيم ، وأسرعوا الخطأ ، فى محاولة للوصول إلى سفح
الجبل ، قبل حلول الظلام ، وقال (سانشو) فى صرامة :

٨٥

قال (أدهم) فى برود :

— لن نفترق إلا فى السفارة المصرية أيها الحفيظ

ثم أردف فى صرامة :

— لقد وعدت السفر ، وسأحقق وعدى له ، مهما كان
الثمن .

تطلع (جارسيا) فى ألم ، وذهول ، إلى ما بقى من الطريق
إلى الجسيم ، بعد هدوء الموقف ، وهتف فى خنق :

— يا للشيطان !! .. لقد أنهار الممر تماماً .

ثم التفت إلى أحد الباجين من رجاله ، وسأله فى ضيق :

— كم بقى منا ؟

أجابته الرجل فيما يشبه الانهيار :

— أنا وأنت ورجلان فقط يا (جارسيا) .. لقد حطم ذلك

الشيطان المصرى كل شيء .

عنى (جارسيا) شفته السفلى فى ألم ، وقال :

— سيدفع الثمن .

ثم عاد يسأل الرجل فى تولر :

— ترى هل لقى مصرعه أيضاً مع الانفجار ؟

٨٥

— لقد وصلت إلى نقطة آمنة يا سيور (أدهم) .. الركنى
الآن .. أرجوك .

أجابته (أدهم) فى صرامة والقتصاب :
— محال .

ترقرقت الدموع فى عيني (سانشو) ، معلقة عن هزيمته ،
ومذنبته ، وهو يقول :

— الرحمة يا سيور (أدهم) !! لقد تحطمت منظمتي ،
وأصبحت رجلاً وحيداً ، ولو أننى وطئت أرض (يما) بقدمي

على هذه الحافلة ، لالتف جبل المشتقة حول عنقي .

غمغم (أدهم) فى برود :
— أنت تستحق ذلك .

وفجأة انصل الأمل فى قلب (سانشو) ، حينما دوى
صوت رصاصات مدفع رشاش ، وارتطمت الرصاصات

بالصخور حول الثلاثة .. وبرز وجه (جارسيا) من أعلى
هضبة قريبة ، وهو يقول فى صرامة :

— إنها نهايتك أيها الشيطان المصرى .

٨٧

يتخذ الطريق المهدد ، وتلفتت (منى) حولها في ذعر ،
وهي تقول :

— لا توجد سيارة واحدة هنا .

صاح بها (أدهم) :

— استمرى في الغدو يا (منى) .. كل دقيقة نضيعها نجعل
هؤلاء الأوغاد أقرب .

لم يكن من الممكن أن يضع (سانشو) الفرصة الأخيرة
لنجاته بهذه البساطة ، لذا فقد تظاهر بالتعثر ، وألصق جسده
أرضاً ، وهو يصرخ بألم مصطنع :

— لقد ألوى كاحلي .. لن يمكنني المواصلة .

جذبه (أدهم) في عنف ، وهو يقول في صرامة :

— ابتنى أيما اتحاد ، سواصل الغدو ، ولو بساق
خشية .

ولكن رغبة (سانشو) في النجاة من جبل المشقة ، كانت
تفوق رغبة (أدهم) في الوصول به إلى الشفارة المصرية . ولقد
دفعته رغبته في البقاء إلى الانقضاض على (أدهم) بتهمة
والقبض على معصم اليد ، التي تمسك بالمسدس ، وهو يصرخ
في أمل أخير :

— إني يا رجال !! إني يا ذئاب الجبال !!

٨٩

دوقف عصب آخر في هذه المهمة المقددة ..
أربعة رجال يطلقون مدافعهم الرشاشة في شراسة ،
(أدهم) لا يملك إلا مسدساً واحداً ، يحمل خمس
رصصات فقط ، والطريق المهدد على بعد أمتار قليلة ..
ولكن إصرار (أدهم) وإرادته كانت أقوى من رصاصات
المدافع الرشاشة ..
لقد دفع (سانشو) أمامه في عنف وخشونة ، وهو يقول
في صرامة :

— ضاع كل قوتك في قدميك أيها الخنزير ، وحاول أن تعدو
بكل ما تملك من قوة ، وإلا أفرغت رصاصات مدفعي الرشاش
في رأسك .

دفع الخوف (سانشو) إلى الغدو ، بكل ما يملك من قوة ،
وخلفه (أدهم) و (منى) ، ورصاصات المدافع الرشاشة
تنهمر حولهم كالطمر ، و (جارسيا) يصرخ في جنون :
— لا تتركوه يرب .. أريقوا دماء عند سفح الجبل .
ولكن (أدهم) ورفيقه وصلوا إلى سفح الجبل ، حيث

٨٨

تفجّر غضب (أدهم) هادراً ، مع انقضاضه (سانشو) ،
في وسط هذه الظروف المقددة ، وتحول غضبه إلى لكمة
ساحقة ، حطمت فك (سانشو) .. وكبرت نصف صف
أسنانه الأمامية ، وتركه (أدهم) يسقط أرضاً ، واستدار في
سرعة مذهلة ، وأطلق رصاصة من مسدسه ، اخترقت رأس
أحد اللذاب الأربعة ، الذين يطاردونه في شراسة ، وقفز
مطافئهم سهل رصاصات المدفع الرشاش ، التي انتهالت عليه ،
وأطلق رصاصة أخرى ، سقط بعدها الذئب الثاني مجدداً ،
لففز (جارسيا) ، والرجل الباقى معه خلف الصخور ، وهتف
(جارسيا) في غضب :

— هذا الشيطان اللعين كالقرد .. لا تطيش رصاصاته
أبدًا .

لم تصل هذه العبارة إلى مسامع (أدهم) ، الذي انحنى
يحمل جسد (سانشو) الضخم على كتفيه ، وهو يقول في
جدة :

— خُلم يا (منى) .. سيتعدى عن هنا بقدر الإمكان .

هتفت (منى) في خفق ، وهي تعدو إلى جواره :

— ألقى هذا الحمل القذر عن كتفك .. إنه يعوق فرارنا

أجابها في صرامة :

— سأحسّر كل ما فعلت ، لو أنني تركته .

لم يكدهم عبارته ، حتى برزت سيارة في الطريق ، تنطلق
نحو (لجا) ، فلوح (أدهم) لقائدها بيده ، هاتفاً :

— لو توقفت هذا الرجل ، فيكتب النجاح لعمليتنا .

كان من المنطقي ألا يتوقف قائد السيارة ، وهو يرى
(أدهم) في ثياب الصاعقة الممزقة ، وهو يحمل على كتفيه
جسد رجل ضخم ، في زى مائل ، ويلوح بكفه التي تحمل
المسدس ، ولكن مشهد (منى) بمسدسها الضئيل ، وذلك
الزنج من الإزهاق والذعر ، المرتسمين على وجهها ، جعله
يضغط كاحية سيارته ، ويوقفها إلى جوارهم تماماً ، وهو يسأل
في اهتمام وقلق :

— ماذا أصابكم ؟

لم يكدهم الرجل يمين عبارته حتى كان (أدهم) قد فتح باب
السيارة الخلفي ، وألقى جسد (سانشو) داخله ، ودفع
(منى) إلى جواره ، ثم قال لقائد السيارة في لهجة جادة ، تشف
عن خطورة الموقف :

— لن يمكنني تفسير الأمر الآن ، ولكنني أؤكد لك أننا

في الجانب الخير من الحياة ، وأن نجائنا جميعاً نحمد على أن ترك
لي قيادة السيارة .

شيء ما في كلمات (أدهم) ، أو مظهره ، أو أسلوبه ،
جعل الرجل يتأزل عن مقعد القيادة فوراً ، ويقفز إلى المقعد
الجوار ، ويتطلع إلى (أدهم) في دهشة ، وهو يقفز خلف
عجلة القيادة ، ويتطلع بالسيارة في مهارة تستحق الإعجاب ..
وأياً ما كان هذا الشيء ، فلا ريب أن رصاصات المدفعين
الرشاشين ، اللذين أطلقهما (جارسيا) وزميله على السيارة ،
كانت السبب الرئيس لسرعة استجابة الرجل ودهشته ، وإن
لم يمتعه هذا من أن يسأل (أدهم) في توتر :

— من أنتم ؟ .. وماذا يحدث هنا ؟

أجابته (أدهم) في هدوء :

— إنها قصة طويلة يا سيور .

هتف الرجل في عصبية :

— من حقى أن أعرفها ، مادامت سيارتي ستشارك فيها .

مطأ (أدهم) شفثيه ، دون أن يجيب ، في حين غمغمت

(منى) :

— هل يمكنك أن تعلم ، أن هذا الخنزير الفاقد الوعي إلى

جوارى ، هو (سانشو) ، زعيم ذئاب الجبال ؟

٩٣



وهو يرى (أدهم) في ثياب الصاعقة المذقة ،

وهو يحمل على كتفيه جسد رجل ضخم ..

يا (جارسيا) ، فقالدها كان ينوي الفرار ، حينما رأى المدفعين
الرشاشين في أيدينا ، ونحن نطلب منه التوقف .

غمغم (جارسيا) في سخط :

— هذا الغبي .. لقد كان يستحق رصاصتي ، التي اخترقت
رأسه .

ثم زاد من سرعة سيارته ، وهو يردف في سخرية مريرة :

— ولا أريد منك أن تداخل على ذلك الشيطان المصرى

بالرصاصات ، حينما تتجاوز سيارتنا .. أريد منك أن تحوِّله إلى
فئات متناثر .

في نفس اللحظة كانت (منى) تقول لـ (أدهم) في توتر :

— سيلحقان بنا بسرعة يا (أدهم) ، فقرة سيارتهم تفوق

قوة سيارتنا كثيراً .

أجابها (أدهم) في صرامة :

— سيكون من سوء حظهما أن ينجحوا .

لم تكده عبارته تكتمل ، حتى جاورته سيارة (جارسيا) ،

وأصبحت تتطلع إلى يساره قائماً ، وهتف هذا الأخير في شراسة :

— أطلق النار يا (دينو) .. حول هذا الشيطان المصرى

إلى مصفاة .

٩٥

شحب وجه الرجل ، وانكمش في مقعده ، وهو يغمغم في

وعب :

— (سانشو) ١٢ .. هل .. هل أننا من ذئاب الجبال
أيضاً ؟

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— لا يا سيور .. لقد انهارت منظمة ذئاب الجبال ،
إنهارت إلى الأبد .

أثاه صوت (منى) ، يقول في اضطراب واضح :

— يبدو أن هذا سابق لأوانه يا (أدهم) ، فهناك سيارة
قوية تطاردنا ، وتطل من نافذتها ماسورة مدفع رشاش .

ضغط (جارسيا) دواسرة الوقود في سيارته بقوة ، وهو

يقول في شراسة :

— من سوء حظك أن عبرت هذه السيارة القوية بعد

فرار ليأبى الشيطان المصرى ، إن سرعة سيارتك الصغيرة لن

تنافس سرعة هذه السيارة أبداً .

قال الرجل الجالس إلى جواره في قلق :

— من حسن حظنا نحن أن نجحنا في الاستيلاء عليها بسرعة

٩٤

و في سرعة ووحشية ، رفع (رينو) لوحة مدفعه الرشاش نحو (أدهم) ، وصرخ في غضب وسادية :
— الوداع أيها الشيطان .
ودوى صوت الرصاص ، عند سفح الجبل ..

دوى صوت الرصاص بالفعل ، ولكنه لم يكن يطلق نحو (أدهم) .. وإنما كان اتجاهه عكسياً ..
كان يطلق من مدس (أدهم) ، إلى رأس (دينو) ، الذي جحظت عيناه ، وسقط المدفع الرشاش من يده ، وسقطت رأسه على صدره ، وسالت منها الدماء في غزارة ، واتسعت عينا (جارسيا) في ذهول ، وصفت كحاشة سيارته بحركة تلقائية ، وهو يتف :
— يا للشيطان !!

ثم امتلكت عروقه دماء الغضب ، حينما تجاوزته سيارة (أدهم) ، واجتذت في سرعة ، مستغلة هبوط سرعته المفاجئ ، فصرخ في جنون :
— سيكون هذا آخر ذنب جبال تقتله أيها الشيطان المصري .

٩٦

ثم ضغط دؤاسة الوقود في قوة ، حتى تكادت قدمه تحترق أرض السيارة ، والطلق كالصاروخ خلف سيارة (أدهم) ..
و في نفس اللحظة استعاد (سانشو) وعيه ، وحدث فيما حوله بذهول ، وسمع (منى) يهتف :
— سيلحق بنا مرة أخرى يا (أدهم) .. كم رصاصة بقيت معك ؟

أجابها (أدهم) في هدوء :
— رصاصة واحدة يا (منى) .
ترجعت في مقعدها ، وهي تغمغم في خوف :
— يا إلهي !!
قال (أدهم) في صرامة :
— ليس أمامنا سوى المواجهة يا (منى) .
و في حركة سريعة ، دار سيارته في مهارة مذهلة ، وانطلق صرير العجلات في قوة ، جعلت صاحب السيارة يصرخ في ذعر ، وقد خيل إليه أن السيارة ستتقلب رأساً على عقب ، ولكن مهارة (أدهم) الخرافية جعلتها تنزف في إنفان ، ثم تندفع مرة أخرى في مواجهة سيارة (جارسيا) ، وهتف صاحب السيارة في رعب :

٩٧

١٢ — آخر الذئاب ..

كان ذلك الطريق ، عند سفح الجبل ، ضيقاً ، لا يسمح بالناوذة بين سيارتين ، وكانت المسافة بين مقدمتيهما تقل في سرعة تخفية ، ولم يكن (أدهم) مستعداً لخسارة معركته ، بعد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من النصر ، لذا فقد أدار يده في سرعة مذهلة ، ولطم زجه (سانشو) بمأسه ، فألقى به على المقعد الخلفي ، ثم عاد يلمض إلى الامام ، وأطلق رصاصه الوحيدة من نافذة السيارة ، في نفس اللحظة التي هتف فيها (جارسيا) في ذهول :

— ماذا يفعل هذا الشيطان المجنون ، لو أنه ارتطم بسيارتي فساخق سيارته نصفين ، ولن يجد الوقت ل ..
بتر عبارته فجأة على الرغم منه ، فقد احترقت رصاصة (أدهم) زجاج السيارة الأمامي ، واستقرت في رأسه ، فجحظت عيناه في ألم وذهول ، وفقدنا بريق الحياة ، وتصلبت قضاياه على عجلة القيادة ، وجذبت قدمه على دؤاسة الوقود ، واستمرت السيارة في اندفاعها نحو سيارة (أدهم) ، بقودها رجل قتل ..

وصرخت (منى) في رعب ، وثبتت صاحب السيارة

٩٩

— ماذا تفعل أيها المجنون ؟ .. ستحطم سيارتي إذا ، إذا ما ارتطمت بهذه السيارة القوية .

أجابها (أدهم) في حزم ، وهو يواصل اندفاعه الجنوني نحو سيارة (جارسيا) :
— إنها رصاصة واحدة يا سنور ، وأنا لا أحب أن أترك أي احتمال للخطر .

حيث (منى) أنفاسها ، حينما علمت ما ينتويه (أدهم) ، واتسعت عينا (سانشو) في ذعر ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه في غضب ، وهتف في أعماقه :
— لن أتركه يقتل (جارسيا) .. لن أترك هذا الشيطان يدمر آخر أمل لي ، ولذئاب الجبال .

و في نفس اللحظة التي استعد فيها (أدهم) لإطلاق النار ، وفي الوقت الذي لم تعد المسافة بين السيارتين تسمح فيه بإضاعة لحظة واحدة ، تعلق (سانشو) بمنق (أدهم) ، وصرخ في جنون :

— لن أصبح لك هذه المرة أيها الشيطان .. لن أصبح لك .

٩٨

بمعهده في دعر ، واتسعت عينا (سانشو) في خوف ،
وتجمدت الدماء في عروقه ، ورأى الموت يطل من سيارة تلميذه
القتيل (جارسيا) ..

مطّ السفير المصري شفته في ضيق ، وهو يتطلّع إلى الحقيبة
الكبيرة ، التي تحتل بأوراق النقد المحضراء ، وسأل سكرتيره
في حق واضح :

— هل تتوى الحقيبة على مليون دولار كاملة ؟

أجابته سكرتيره في ضيق مائل :

— لا تتقى دولارًا واحدًا يا سيدي ، وستذهب كلها إلى

(سانشو) ..

عقد السفير حاجيه ، وهو يقول :

— لم أكن أتصوّر هذه النهاية أبدًا ، حينما وصل ذلك المقدم

وزميلته إلى هنا .

ثم ابتسم في مرارة ، وهو يستطرد :

— لقد افحتني ثقته بنفسه جدًا في البداية .. تصوّر أنه

وعدى أن ينجو (سانشو) على ركبتيه هنا أمامي ، ويطلب مني

الرحمة .

١٠٠

١٠١

زفر السكرتير في ضيق ، وقال :

— يا له من وعد !! إنني اتقن الآن ألا يطلب منا
(سانشو) أن نلجئ نحن على الأرض ، ونسترضع إليه أن يعيد
إلينا رجل اخبارات وزميلته .

لم يكذب السكرتير يوم عبارته ، حتى اقتحم أحد رجال أمن
السفارة مكتب السفير ، وصاح في دهشة واضحة :

— سيدي .. لقد وصل (سانشو) .

رفع السفير حاجيه في دهشة ، وغمغم في سخط :

— وما الذي يذهبك في ذلك ؟ دعه يأتي ويتسلم نفوقه .

هتف الرجل في خيرة :

— ولكن يا سيدي

قاطع السفير في حق :

— ولكن ماذا ؟

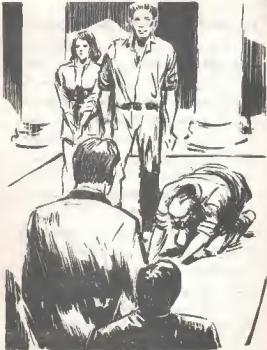
ولفجأة اتسعت عينا السفير في ذهول ، وتراجع سكرتيره

كالمصعوق ، حينما اندفع (سانشو) بمجده الضخم داخل

الحجرة ، و (أدهم) يمسك عنقه في صرامة ، وخلفهما برزت

(منى) ، وهي تبسم في سعادة وظفر ..

وهتف السفير في فرح غامر :



جنا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،
وسكرتيره ..

— يا إلهي !! .. إنني لم أتصوّر عودتك أبدًا أيها المقدم .
ولكن (أدهم) لم يجب عبارة السفير ، وإنما ضغط عنق
(سانشو) في قوة ، وهو يقول بالإسبانية في صرامة خفيفة :

— اجث على ركبتيك أيها الخنزير .

جثا (سانشو) على ركبتيه ، أمام عيون السفير ،
وسكرتيره ، ورجل الأمن ، الذين تمككهم ذهول شديد ،
وغمغم زعيم اللذئاب في صرامة :

— الرحمة يا سيدي السفير !! الرحمة يا سنبور !!

حذق السفير في وجه (سانشو) يذهول ، ثم رفع عينيه
إلى (أدهم) ، الذي نصب هامته ، وقال في صلابة :

— لقد حققت وعدى يا سيادة السفير ، وهذا الوعد
الراكم أمامك هو آخر ذئاب الجبال ، لقد مضى اسم هذه
المظمنة من تاريخ الإجرام إلى الأبد .

أحاط رجال أمن السفارة بـ (أدهم) ، يهتونه في انبهار
واعجاب ، ويسألونه أن يقض عليهم تفاصيل معركته مع ذئاب
الجبال ، ولكنه ابتسم في إرهاب ، وقال وهو يلوح بذراعيه في
هدوء :

١٠٢

— فيما بعد يا رجال .. فيما بعد .. فلأننا لم أذق طعم النوم منذ ثلاثة أيام .
تقدمت إليه زوجة السفير بكوب من الليمون المثلج ، وهي تقول مبسمة :
— اتركوه الآن يا رجال ، فلقد حقق المقدم (أدهم) معجزة ، بقضائه على أقوى منظمة إجرامية في (بيروت) .
هفت (منى) في سعادة :
— ولقد فعلها وحده ، ليتكم رأيتموه ، وهو يتفادى السيارة الأخرى في براعة مذهلة ، قبل أن ترتطم بنا .
هز السفير رأسه في إعجاب ، وقال :
— لقد كنت أظن أن هذا لا يحدث إلا في الأفلام السينمائية الأمريكية فقط .
وهتف سكرتيره في النبار :
— من قال هذا يا سيدي ؟ .. هل نسيت أن محاورتنا المصرية من أعظم أجهزة المخابرات في العالم .
تطلع إليه السفير في دهشة ، ثم ابتسم ، وقال :
— يبدو أن نجاحك قد بدل الكثير من الآراء يا سيدي (أدهم) .

١٠٤

وافقه الجميع في حماس ، ثم سأله زوجة السفير في اهتمام :
— ولكنك بدلت جهداً إضافياً لحمل (سانشو) إلى هنا يا سيدي (أدهم) .. هل كان ذلك بسبب وعذك للسفير فقط ؟
صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :
— بل كان هناك سبب آخر يا سيدي .. لتخطيم ذئاب الجبال بفقد قوته ، ما لم يقترن بصحبة إعلامية مناسبة ، ولا توجد صحبة إعلامية أكبر من محاكمة زعيم ذئاب الجبال ، وإعدامه .
ثم استطرد في صرامة :
— بهذا فقط يعلم الجميع أن أمن مصر أعظم من أن يحاول أي مخلوق المساس به .
صمت عبارته عواطف الجميع ، واحتلجت لها قلوبهم ، وغمغم السفير في حماس :
— لقد انتبت أعظم مهامك بالنجاح أيها المقدم ، وبحق لك الشعور بالفخر الآن .
هز (أدهم) رأسه نفثاً ، وقال :
— لا سيدي .. لم تنته مهمتي بعد ، فما زال هناك وغد لم يلق جزاءه بعد .

١٠٥

١٣ — الختام ..

صعد المفتش (رود) إلى منزله في خطوات سريعة ، ودس مفتاحه في ثقب الباب ، وهو يغمغم في حلق :
— ثبأ لـ (سانشو) ورجاله ، لقد اعتدت الإنفاق بسخاء ، حينما كنت ألقى رائياً شهرياً ضخماً منهم ، فماذا أفعل الآن ، بعد أن سقط هو في قبضة الشرطة ، وتحطمت منظمته كلها ؟
دفع باب منزله في جدة ، وأغلقه خلفه في عصبية ، ثم أشعل سيجارته ، ومد يده ليضئ مدخل المنزل ، ولكن يده تسمرت في مكانها ، واتسعت عيناه في ذعر ، وهو يحلق في الرجل الذي يقف هادئاً في ركن المدخل ، وسقطت سيجارته من بين شفثيه ، وهو يغمغم في خوف :
— من هناك ؟
تحرّك الرجل نحوه في برود ، وهو يقول :
— ألم تعرفني أيها الوغد ؟
أسرعت يد (رود) فضئ المدخل ، ثم تراجع في رعب ، وهو يحلق في وجه (أدهم) ، ويتف في صوت مختنق :
— يا للشيطان !! .. أنت ؟

١٠٧

سأله (منى) في دهشة :
— من تعنى يا (أدهم) ؟
أجابها في هدوء :
— المفتش (رود) .



١٠٦

ثم لُوح بدراعيه في دعر ، وهو يهتف :

— لقد أمرى (سانشو) بذلك .. إننى لم ..

آخره (أدهم) بكلمة ساحقة على فكه ، أعقبها بأخرى هتمت الله ، وثالثة غاصت في معدته ، سقط بعدها (رود) ، وهو يتأوه في دعر وأثم ، فاعتدل (أدهم) ، وقال في برود وصرامة :

— لقد انتهت أيها الخائن الحقيق .. لقد أرسلت إلى الشرطة كل ما بييت تورطك مع ذئاب الجبال .. ستدفع ثمن خيانتك غالياً . حاول (رود) إيقاف تزييف الدم الغزير من أنفه وأسنانه المخطئة ، وهو يقول في دعر :

— لماذا فعلت ذلك ؟ .. لماذا فعلت ذلك ؟

قلب (أدهم) شقته في احتقار ، وقال :

— هذا جزء كل من يحاول المساس بأمن مصر .

ثم تجاوز (رود) في هدوء ، وغادر شقته ، وأعلق بابها خلفه ، ووصل إلى مسامعه نحيب الخائن — وهو يهبط في درجات السلم بهدوء — حتى وصل إلى الطريق ، فالتجه في خطوات ثابتة هادئة إلى سيارة أنيقة ، تلف ساكنة إلى جوار الطريق ، ويجلس (منى) خلف عجلة قيادتها ، وفتح بابها الأيمن وجلس إلى جوار (منى) ، التي سأله في هدوء :

— هل انتهت مهمتك ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وهو يفلق عينيه ، فعادت تسأله :

— هل تشعر الآن بالآرياح ؟

ابتسم وهو يسند رأسه إلى مقعده في استرخاء ، وغمغم :

— كل الآرياح يا عزيزتى .

أدارت عجلة السيارة ، وهي تقول :

— اعتقد أنه ينبغي أن نطلق الآن إلى المطار ، فستقل

طائرتنا بعد ساعتين فقط .

أجابها في صوت متكاسل :

— افعل ما تريه صواباً يا عزيزتى ، ولا توقظنى حتى

نصل إلى المطار .

ابتسمت وهي تتأمله في حنان ، ثم انطلقت بالسيارة ، وهي

لا تصدق وجوده حياً إلى جوارها ، بعد ذلك الصراع الدامى ، وبعد كل هذا الفيض من الذئاب .. والدماء .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإبداع : ٣٦١٩